من أجل إنشاء معهد عربي للكتاب

محمود بوعياد

إن الأقطار العربية على اختلاف إمكانياتها المادية والبشرية ، وتباعد عهود حصولها على سيادتها الكاملة ، بعد ليل الانحطاط ، فليل الاحتلال الأجنبي ، وحالياً سرطان الصهيونية والإمبريالية ، قد بذلت رغم هذه القيود ، ورغم هذه الأخطار الحائمة حولها ، أقصى الجهود للقضاء على الأمية ، وتعميم التعليم وخاصة للأطفال ، فانتشرت المدارس من جميع المستويات لتعليم النشء الصاعد ، وتلاها في العقود الأخيرة إنشاء جامعات ومعاهد عليا ينهل منها إطارات الغد جميع أصناف المعرفة والتقنيات .

وجدّت الأقطار على اختلاف نظمها الاقتصادية في إنماء حركة الطبع والنشر بهدف جعل «الكتاب في متناول الجميع» ، فشهدت المنطقة إقبالًا كبيراً على اقتناء المطابع ، وخاصة في العقدين الأخيرين ، وكثر عدد دور النشر ، وعدد دكاكين الورّاقين كما تم تأسيس المكتبات المتنوعة من وطنية ، وجامعية ، ومتخصصة ، وعامة ، ومدرسية ، وهذا كله لإيصال الكتاب إلى القراء الذين أُلّف الكتاب ونُشر من أجلهم ، وزاد بزيادة عدد المتعلمين ، عدد الكتب المنشورة ، وعدد النسخ المسحوبة وخاصة منها الكتب التعليمية .

واهتمت الأقطار في الفترة نفسها بتكوين المكتبيين لتنظيم المكتبات الجديدة ، فأحدثت عدداً من المعاهد والفروع في الكليات لتكوين هؤلاء المكتبيين ، كما أعتنى عدد من المختصين في مهن الكتاب والمكتبات بتأليف الكتب الخاصة بالكتاب ، وعلم المكتبات ، والبيبليوغرافيات المتنوعة ، ونشر المجلات الخاصة بمجال الكتاب .

ومما يدل على اهتمام الشعوب والحكومات العربية بالكتاب ، تتابع معارض الكتاب على المستوى العربي والقطري ، وإقبال الجماهير على زيارتها واقتناء الكتب المعروضة . ومن الأدلّة على هذا الاهتمام أيضاً تعدُّد الندوات والمؤتمرات المتعلقة بمشكلات الكتاب عامة ، أو الخاصة بمرحلة من مراحل صناعته . وصدرت هذه الجهود عن الحكومات والجامعات والإتحادات والجمعيات المهنية ، وعن المنظمات الدولية وعلى رأسها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو التي تَعِي كلها أن الكتاب هو أساس التقدم الاجتماعي والثقافي .

ولكن هل تَعني هذه الإهتمامات والإنجازات في مجال التعليم ونشر الكتاب ، والتي تطلبت تضحيات جسيمة من الأقطار العربية ، أن الكتاب متوفر اليوم للقارىء العربي ؟ وأننا بلغنا الغاية المطلوبة وهي : «الكتاب للجميع» التى حدَّدتها السنة الدولية للكتاب ؟ وهل نحن سائرون فعلاً بخطى حثيثة نحو « المجتمع القاريء »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو الهدف الجديد الذي حدّده للثمانينات ، مؤتمر لندن الخاص بالكتاب يجب أن نعترف أننا بعيدون كل البعد سواء عن الهدف الأول ، وبالأحرى عن الثاني .

فإن « شعب الكتاب » كما سمّاه روبيرت إسكاربيت Robert Escarpit الاختصاصي الفرنسي في مجال الكتاب وهو يَعني به الأمة العربية ، مازال يعاني من نقص الكتاب ومن سوء توزيعه ، وما فتىء القارىء يلهث جرياً وراء هذا الكتاب ، أما الإنجازات الكثيرة في مجال صناعة الكتاب ، فلم تتمكن بعد من إرضاء الحاجات الأساسية لفئات الشعب العربي المختلفة .

إن إنتاج المنطقة يتّسم بالضعف إذ أن مجموع الأقطار العربية التي يبلغ عدد سكانها ١٦٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة تقريباً ، لم تنتج سنة ١٩٨٠ سوى ٧,٠٠٠ عنوان بالتقريب بما في ذلك الكتاب التعليمي الذي يمثل أكثر من نصف الانتاج، بينما نشر بلد كالنمسا مثلًا ، العدد نفسه في السنة نفسها مع العلم أن عدد سكان هذا البلد لا يتجاوز ٧,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وأنتج المجر ٩,٢٥٤ عنوان وسكانه ١٠,١٧٣,٠٠٠ نسمة ، كما اتّسمت حركة النشر في الوطن العربي بعدم التوازن ، فإننا نلاحظ نقصاً خطيراً في إنتاج كتاب الأطفال ، وانعدام الكتب الخاصة باليافعين ، وهذا في بلد يمثل فيه الشباب الجانب الأكبر من القرّاء الحقيقيين ومن القرّاء المحتملين ، ومن المعروف عند المربين والاختصاصيين أن عادة القراءة تكتسب في سن الطفولة ، كما كادت مادة القراءة الخاصة بالراشدين حديثي العهد بالتعلم تفتقد من رفوف المكتبات ، وتبين لنا الإحصائيات كثرة الكتب الدينية وقلة الكتب التي تتناول العلوم البحتة والتطبيقية ، كما أن إنتاج كتب المطالعة العامة لا يفي بحاجات الفئات المثقفة ، ولا تقف هنا هموم القارىء العربي فبالإضافة إلى قلة الكتب المنشورة ، وعدم توازنها ، وسوء مظهرها الخارجي غالباً ، فهي لا تصل إلى هذا القارىء لأن عملية الترويج والتوزيع سواء عن طريق البيع أو المكتبات العامة أضعف مرحلة في مسيرة الكتاب في المنطقة .

فما هي أسباب هذا الوضع الذي لا يتناسب مع طموحات الشعب العربي والإمكانيات المادية الواسعة لبعض الأقطار ؟ .

تُعتبر العقبات التي اعترضت النهوض بالكتاب في الوطن العربي متعددة ومختلفة ، سبق أن تطرقنا إلى ذكر أولها وهو راجع إلى الإستعمار القديم والحديث ، ومن الأسباب الهامة أيضاً اختلال النظام الاقتصادي العالمي الذي جعل شمال العالم يستحوذ على الآلات والمواد الصالحة لصنع الكتاب ، وعلى الخبرات ، وقطع الغيار ، ومنها أيضاً ما هو ناجم عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعالم العربي وخاصة تفشي الأمية ، والانفجار المهول في النمو البشري ، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة والمتنوعة التي لا يسعنا المقام لاستعراضها وبالأحرى إلى تحليلها .

وإذا تركنا من الأسباب ما ارتبط بالعالم الخارجي ومانتج عن التخلف الاقتصادي والتقني ، واقتصرنا على ما يعود إلى المسؤوليات العربية في عدم توفر العدد الكافي من الكتب المناسبة لمختلف فئات القراء ، وجدنا أن العوامل الرئيسية التي عاقت نمو حركة النشر والتوزيع هي :

أولًا : عدم التنسيق والترابط بين العمليات ، إذ اتخذت الجهود والتضحيات من أجل النهوض بالكتاب دائماً شكل عمليات منفصلة تختص كل واحدة منها بقطاع ، كما لو أن صناعة الكتاب ليست عملية متماسكة يكمل بعضها بعضاً ، فكل ما أنجز في كافة أنحاء المنطقة أنجز من دون وضع خطة سابقة تشمل حلقات صناعة الكتاب كلها من المؤلف إلى القارىء ، وأيضاً من دون تحديد للأهداف الرئيسية التي تتمثل في سدّ احتياجات جميع طبقات الشعب ، وكذلك من دون القيام بدراسات كافية لهذه الاحتياجات ، ولا لعادات القراءة ، إذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يتوفر حالياً في العالم العربي إلا العدد القليل من الدراسات والمعلومات عن نوعية القراءة، وعن الكتب المقروءة وعن عدد رواد المكتبات وهكذا، كما أن الإنجازات تمت من دون إحصاء للإمكانيات فيما يتعلق بالمعدّات واليد العاملة .

كل هذا أيضاً من دون تنسيق مع خطة التنمية الإقتصادية والاجتماعية التي تضعها بانتظام كل الأقطار، غير اننا نعترف أن المخططين لو أرادوا فعلًا القيام بالتخطيط لحركة النشر، لما بلغوا غايتهم وذلك لقلة المعلومات والإحصائيات الخاصة بهذا القطاع .

ثانياً : نقص اليد العاملة : أما السبب الرئيسي الآخر لضعف حركة النشر في الوطن العربي فهو عدم توفّر الإطارات والمهارات اللازمة للقطاع كله، من إبداع، ونشر، وصنع للكتاب، وتوزيعه عن طريق الورّاقين، وعن طريق المكتبات، فإن افتقار العالم العربي إلى أنواع من المبدعين كمؤلفي كتب الأطفال، والمعوقين، وكتب المهاجرين المغتربين وغيرهم، وإلى الاختصاصيين في صنع الكتاب، وإلى الناشرين والورّاقين الأكفاء، كان بالفعل من أهم الحواجز التي عاقت نمو الكتاب والمطالعة في المنطقة .

وإذا كانت الأقطار العربية قد اهتمت بتكوين المكتبيين وإعداد اليد العاملة في مجال الفنون الطباعية في المستوى الابتدائي والمتوسط، فإن تكوين الناشرين، والوراقين، والإطارات العليا في فنون صنع الكتاب، لم يحظ بأية عناية، والإطارات القليلة الموجودة والمختصة في فن الطباعة قد تم تكوينها في الدول الأجنبية وخاصة عند صانعي المعدات .

وإذا أردنا استخلاص بعض العبر من هذه النقائص كلها حصرنا هذه الأسباب :

أولًا : في عدم توفر الدراسات والإحصائيات والمعلومات الكافية للقيام بوضع خطة شاملة للنهوض بالكتاب، **ثانياً** : في عدم توفر العاملين الأكفاء .

بعد القيام بهذا العرض السريع، والتحليل الوجيز لأسباب ضعف حركة النشر، كان من المنتظر أن أقدم بعض المقترحات التي يمكن أن تساهم في علاج مشاكل الكتاب العربي، وبعض الحلول التي تخص حلقات صناعة الكتاب كلها، وما يجب تطبيقه على الصعيد القطري إلا أن هدفي من هذه الدراسة الوجيزة هو طرح حل على المستوي العربي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما استخلصناه من نقائص عند عرضنا للوضعية الحالية .

ويتلخص هذا الحل في إنشاء معهد عربي يُعنى بمشاكل الكتاب والمطالعة على غرار المعاهد والمؤسسات التي أنشأتها جامعة الدول العربية والمنظمات التابعة لها في قطاعات أخرى .

أما أهداف هذا المعهد فهي :

أولًا : التكوين :

بما أن العالم العربي بحاجة إلى إطارات عليا ـ أى ما بعد الليسانس ـ لجميع مهن الكتاب، وبما أن عدد المكونين المختصين في هذه المهن والمتوفرين في العالم العربي قليل جداً، وأن عدد الطلّاب قليل نسبياً أيضاً، فإن جهود الأقطار العربية يجب أن تتضافر في هذا المجال على أن يجرى التكوين في إطار المعهد .

١ ـ في مرحلة النشر : إذ أن الناشر ذا المهارات الضرورية نادر الوجود حالياً كما قلنا سابقاً .

٢ ـ وفي مرحلة التوزيع : أى تكوين الورّاقين والموزّعين الأكفاء، ومن المعلوم أن الوطن العربي يفتقر إلى مروّج الكتاب ومهمته تعريف القرّاء الحقيقيين المحتملين بالكتب الجديدة، وكذلك إلى الموزّع الذي يأخذ على عاتقه إيصال الكتاب إلى القارىء أينما كان، وتلبية حاجته إذا ما ابتغى اقتناء كتاب معين .

٣ ـ وفي مرحلة صنع الكتاب، وخاصة ما يتعلق باستيعاب الوسائل التكنولوجية الحديثة لصنع الكتاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتي يتوقف عليها توفير نسخ كثيرة من الكتاب بأقل الأسعار .

٤ ــ وعلى المعهد أن يكوّن أيضاً الاختصاصيين في الاستنساخ (ميكروفلم وميكروفيش) وفي معالجة وترميم الكتب المخطوطة والمطبوعة المريضة أو المصابة بالطفيليات المتنوعة .

٥ ــ ومن مهام هذا المعهد استحداث دروس في تحقيق التراث المكتوب نظراً لقلة عدد المحققين المؤهلين ، وهذا بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية .

٥ ــ ومن الأهداف الأساسية للمعهد تكوين المكونين في جميع المجالات السابقة من نشر ، وتوزيع تجاري ، وفنون طباعية ، ولابد من إضافة المكونين في علم المكتبات حتى تتمكن الأقطار كلها من أن تقوم محلياً بإعداد ما يلزمها من المكتبيين ، وما أكثر حاجة الأقطار العربية لمثل هؤلاء المكتبيين لتسيير وتنشيط المكتبات المتنوعة التي أنشأتها أو هي في حاجة إلى إنشائها .

وأتمنى أن يفسح تدريس علم المكتبات المجال إلى التنشيط الثقافي الذي أصبح اليوم ملازماً لمهنة المكتبي المشرف على المكتبات العامة ، والمكتبات المدرسية ، ومكتبات الأطفال .

بما أن مرحلة الإبداع بحاجة أيضاً إلى مؤلفين أكفاء ، لابد للمعهد أن يقوم بإعداد كتّاب لأنواع خاصة من الكتب ، فإذا كان مؤلفو كتب المطالعة العامة والكتب العلمية والفنية والتقنية ، ليسوا بحاجة إلى تكوين خاص لأن الجامعات والمعاهد العليا ، بالإضافة إلى الموهبة والخبرة ، هي التي تتولى تأهيلهم لخوض غمار الإبداع ، فإن أشكالًا من التآليف تنقص اليوم الشعوب العربية ، وقد ذكرت منها كتب الأطفال وكتب المعوّقين ، وحديثي العهد بالتعليم ، والمغتربين حتى تحافظ الجاليات المهاجرة على عروبتها ، لذا أرى من الضروري أن يهتم المعهد العربي للكتاب بأمثال هؤلاء المؤلفين .

وفي مجرى حديثي عن مرحلة الإبداع أرى من مهام المعهد العناية بالإختصاصيين في مجال حقوق التأليف ، فإن قطاع النشر تعوزه العناصر القادرة على السير في متاهات قوانين حقوق المؤلفين والمترجمين على أن تعمل هذه العناصر في وظائف استشارية في دور النشر ، وتقوم بدور المرشد الناصح للمؤلفين ، وتفصل في النزاعات القائمة بين المؤلف والناشر ، أما المترجمون ــ وأهميتهم لا تخفى في هذه المرحلة من مراحل تطور الأمة العربية فتعنى بهم معاهد وكليات مخصصة لتعليم اللغات الأجنبية ، ولا ننسى أن المهتمين بأمور الثقافة في الوطن العربي يدرسون حالياً مشروع إنشاء معهد خاص بالترجمة .

وإذا كان العالم العربي يفتقر إلى العدد الكافي من الأساتذة المؤهلين للتدريس في هذا المعهد ، من الجائز أن يستعين في مرحلة أولى انتقالية ببعض الخبراء والفنيين الأجانب ، وخاصة منهم من ينتمي إلى بلدان العالم الثالث ، وذلك لأنهم يواجهون مشاكل شبيهة في أغلب الأحيان ، بالمشاكل التي تعترض نمو حركة نشر الكتاب وتوزيعه في العالم العربي .

والفائدة المرجوة من مثل هذا التكوين غنية عن التفصيل ، ويدركها المهتمون بالكتاب العربي وهمومه ، إلا أن أهم النتائج المتوقعة من تأسيس هذا المعهد هي توفير اليد العاملة ذات الكفاءة العالية التي أعوزت المنطقة إلى يومنا ، وكان نقصها كما رأينا ، من العوامل الأساسية في ضعف حركة النشر في الوطن العربي .

وستتمكن هذه الإطارات العليا المكوَّنة تكويناً علمياً متيناً متناسباً مع إمكانيات أقطار المنطقة ، ومع حاجات شعوبها ، وخطط التنمية المرسومة ، من التغلب على الحواجز التي عاقت حتى الآن إحداث صناعة كتاب حيوية ، كما سيتمكن المكوّنون المتخرجون من المعهد من إعداد الإطارات المتوسطة والمنفذة اللّازمة لمختلف مراحل إنتاج الكتاب وتوزيعه ، وهذا على الصعيد القطري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانياً : البحث :

رأينا أن نقص البحوث المتعلقة بحاجات الفئات الاجتماعية المختلفة في المنطقة كان أحد العوامل الأساسية لإخفاق الأقطار العربية في بلوغ هدف « الكتاب للجميع » .

وبالرغم من وجود عدد من الطلبة الذين تناولوا في رسائلهم الجامعية بعض الجوانب من صناعة الكتاب ، فإن هذه البحوث تميزت أولًا بالقلة وثانياً بعدم تعمقها في هذه المواضيع ، وهذا راجع لقلة الأساتذة الاختصاصيين في مجال الكتاب والمطالعة في كليات ومعاهد لها اختصاصات أخرى .

بالإضافة إلى أن هذه الدراسات إن وجدت ، كانت محصورة في نطاق الجامعة من أساتذة وطلاب ، وما تخطّى منها جدران الجامعة ليصل إلى جمهور القرّاء والباحثين كان نادراً .

ونظراً لأن الإطار المواتي لمثل هذه الدراسات مفقود في الواقع لأن الجامعات في غالبيتها لم تُعن بالكتاب العناية اللائقة به ، ولافتقاد معهد خاص بهذا القطاع في أي قطر من الأقطار العربية ، كما أن صناعة الكتاب لم تبلغ الأهداف المرجوة لأن الجهود كانت مبعثرة ، وغير منسّقة وغير مبنية على دراسات وإحصائيات تُوضّح حاجة الشعوب للمطالعة ، من أجل كل هذا كان تعزيز البحث العلمي في مجالى الكتاب والمطالعة هو الشطر الثاني من أهداف المعهد العربي للكتاب .

ومجالات البحث الممكنة متعددة وأقتصر على ذكر أهمها :

ــ منها الوضع الجديد للكتاب بعد أن اجتاحت العالم الوسائل الحديثة للإيصال وخاصة منها التلفزة .

ــ ومن المجالات أيضاً المراحل المتتابعة لصناعة الكتاب ، ففي مرحلة الإبداع نذكر مشكلة الترجمة وتوحيد المصطلحات الفنية وحقوق المؤلفين والمترجمين وفي فرع النشر نذكر الكتب الخاصة بالأطفال واليافعين والمعوّقين والمغتربين . وفي فرع صنع الكتاب من الممكن أن يتطرق البحث إلى مسألة استعمال التقنيات الجديدة لإنتاج الكتاب ، وإلى مشكلة مواءمة الخط العربي لحروف الطباعة ، وهناك البحث المتعلق بترويج المنشورات والتوزيع التجاري أو عن طريق المكتبات .

غير أن المطالعة تبقى أهم مجال للبحث ، وأهميتها لا تخفي بالنسبة لوضع أية استراتيجية للنهوض بالكتاب على الصعيد العربي أو القطري ، فوفرة البحوث في هذا المجال ، ستساعد على تقدير الاحتياجات الحقيقية لمختلف فئات الشعب ، كما ستمكن من الاطلاع على عادة القراءة ، وعلى كيفية تداول الكتاب ، وفي مقدمتها أساليب القراءة وأساليب تعلمها وأنواعها ، وكذلك أسباب الإقبال على الكتب أو الإعراض عنها .

ويحتاج طلاب المعهد إلى تعلم أساليب البحث في هذا الميدان : كطريقة القيام بالتحقيق العلمي ــ اختيار عينات السكان المقصودة بالتحقيق ــ كيفية تحرير الاستبيانات ــ كيفية قراءة نتائج هذه الاستبيانات وقراءة الإحصائيات وطرق تأويلها ، وهذه الأساليب معروفة ومطبقة في التحقيقات التي يقوم بها علماء النفس والاجتماع .

ومن المواضيع التي أتينا على ذكرها وأخرى لم نذكرها ، نشعر بأهمية البحث فيما يخص سياسة الكتاب والمطالعة على الصعيد الوطني والقطري وخاصة بالنسبة لوضع الخطة الشاملة المتكاملة للنهوض بالكتاب والمطالعة .

إنشاء مركز للتوثيق : هو الهدف الثالث الذي يجب أن يؤسس من أجله المعهد العربي للكتاب ، وقد تراءت لنا ضرورة إحداث هذا المركز عند كلامنا السابق ،

وخاصة الحديث عن الخطة الشاملة للكتاب والمطالعة وعن موضوع البحث ، رأينا أن الواضعين المحتملين لاستراتيجية النهوض بالكتاب وُجدوا ، سواء على المستوى القطري أو على المستوى العربي ، ما كان بإمكانهم أن يبلغوا غايتهم لأن المعلومات والإحصائيات الضرورية عن الحاجات الواجب تلبيتها ، والإمكانيات المادية والبشرية ، وحركة النشر ، واستهلاك المواد اللازمة لصنع الكتاب ، وعن بنيات التوزيع لم تتوفر لديهم ، إذ لم يكن بإمكانهم أن يخططوا مثلًا للنشر من دون دراسة الحاجات ، ومن دون إحصائيات عن الإنتاج ، وعن عدد النسخ المسحوبة ، والكتب المعارة في المكتبات ، والنسخ المبيعة عند الورّاقين ، والكلام نفسه ينطبق على البحث والباحثين ، فإن المخطط بحاجة إلى نتائج البحوث التي يقوم بها الباحثون التابعون للمعهد أو التابعون للجامعات والمعاهد العليا المتخصصة ، والباحثون أيضاً لا يمكن أن يقوموا بمهمتهم إذا لم يتحصلوا على البيانات والإحصائيات الكافية عن قطاع الكتاب والمطالعة .

والهدف من خلق هذه الدائرة التابعة للمعهد هو تجميع البيانات والإحصائيات والتشريعات المتعلقة بحلقات صناعة الكتاب كلها ، ثم تصنيفها وتخزينها لتصبح صالحة للاستعمال في المعهد نفسه ولأن تُرسل إلى من يطلبها من مختلف أقطار المنطقة من الباحثين والسلطات في كل قطر ، والمهتمين بالكتاب في أي مجال من مجالاته .

ومصدر هذه البيانات الدوائر الحكومية والمؤسسات المحلية ، والجمعيات والإتحادات المهنية العاملة من أجل إنتاج الكتاب وتوزيعه داخل الوطن العربي ، كما يجب أن تُجمّع المعلومات التي تصدر خارج المنطقة عن المؤسسات العلمية والمهنية والمنظمات الدولية والإقليمية .

خلق دائرة للنشر :

تتويجاً للبحوث التي يجريها الباحثون التابعون للمعهد في قطاع الكتاب والمطالعة ، وحتى تعرّف المؤسسة بنشاطها ، وتروّج الدراسات المنجزة بين المعنيين بالكتاب في المنطقة ، لابد أن تخلق دائرة للنشر تنتج نوعين من المنشورات ، أولا : الرسائل والأبحاث التي يقوم بها الباحثون الملحقون بالمعهد ، حتى يطلع على محتواها المهتمون بإنتاج الكتاب وبتشجيع القراءة بين فئات الشعب جميعها ، وكذلك كل من يُعنى بالتكوين وبتطبيق التكنولوجيات الحديثة في مجالات صنع الكتاب وتوزيعه .

أما النوع الثاني من المنشورات فهو الفهارس والأدلة المتعلقة بالكتاب والتي تصدرها حالياً المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وكذلك اليونسكو فبإمكان المعهد أن يشرف بالإتفاق مع المنظمتين الدوليتين على إعدادها ثم نشرها .

وأخيراً أرى من الضروريات أن تكون للمعهد مجلة متخصصة تُعنى بكل ما يتعلق بالكتاب ، وتكون رابطة بين كل المعنيين بالكتاب والمطالعة في الوطن العربي .

الإدارة والتمويل :

إن هذا المشروع قد اقترح ضمن خطة النهوض بالكتاب والمطالعة في الأقطار العربية التي أعددتها في الشهور الأخيرة لليونسكو وبطلب منها ، والتي ستدرس وتناقش في الشهور القادمة من طرف اختصاصيين عرب ستتولى جمعهم المنظمة الدولية ، ونظراً لأهمية الكتاب في النمو الثقافي والاجتماعي وأخيراً الاقتصادي أتمنى أن تحظى هذه المبادرة لتأسيس المعهد العربي للكتاب بالأسبقية من بين اهتمامات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المستقبل القريب إذ لا يتصور أن يتحقق إنشاء مثل هذا المعهد خارج نطاق المنظمة .

ومن الجائز أن يعرض المشروع على اليونسكو فيقع تمويله في المرحلة الأولى من طرف برنامج التنمية للأمم المتحدة المعروف باسم PNUD ، وبالبرنامج الدولي لتنمية الاتصال PIDC ، غير أن تنظيمه ثم تسييره بعد إحداثه فمن المحبذ أن يسند للمنظمة العربية .

ولا يسعنا المقام للدخول في تفاصيل اجراءات التأسيس والتسيير ، وفي سن التشريعات الضرورية ، فتلك عمليات من اختصاص الخبراء عندما يحظى المشروع بالرضا والقبول من طرف المعنيين بنمو الثقافة في وطننا العربي .

الخلاصـة :

وفي الختام أؤكد أنني أرى في المشروع وسيلة من أنجع الوسائل لتحقيق آمال الشعوب والحكومات العربية المقتنعة بأن للكتاب دوراً هاماً في التنمية الثقافية ، وبالتالي في التنمية الإقتصادية ، لتلبية الحاجات الأساسية لفئات الشعب كلها في مجال المطالعة فإن المعهد العربي الذي من مهامه الأساسية إعداد الإخصائيين والمكونين في مجال الكتاب ، والحثّ على إجراء البحوث والدراسات الضرورية لمعرفة احتياجات الشعوب ، قبل وضع الخطة الشاملة للنهوض بالكتاب والمطالعة ، وخلق مركز متخصص في تجميع البيانات والإحصائيات لهذا الغرض ، سيسهم إسهاما قيّماً في القضاء على تخلف الأمة العربية في ميدان الكتاب الذي نؤمن كما جاء في إعلان لندن ، بأنه مازال محتفظاً بتفوقه كأداة لنقل المعرفة والعلم والتربية والقيم الثقافية في المجتمع الإنساني ، وبأنه يخدم التنمية الوطنية وإثراء حياة الفرد في آن واحد .

إني أؤمن فيما يخصني أن هذه المؤسسة التي اكتفيت ببسط الخطوط العريضة لأهدافها ولتنظيمها ، ستكون فرصة للأمة لتأكيد عزمها على الاعتماد على الذات ، وعلى التعاون المثمر للخروج من المأزق الذي تعيشه الأقطار العربية في مجال الكتاب ، فتحقق ما سترسم من خطط ، وتعطي الفرصة لكافة فئات الشعب للتمتع بحقها في المطالعة والثقافة ، إنني أؤمن أن المعهد العربي للكتاب سيسهم إسهاماً فعالًا في بزوغ فجر مجتمع عربي قارىء ، ومحب للقراءة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حركة النقد الأدبية الحديثة في الجزائر

بين ١٩٠٠م-١٩٨٠م
بداية دينية

علي جابر المنصوري

تمهيد

لقد خيمّ الاحتلال الفرنسي علىٰ بلاد الجزائر العربية زمناً طويلًا كاد يقضىٰ فيه علىٰ الكثير من منابع الأصالة التي كانت مستقرةً في مشاعر الشعب . ومن أهم هذه المنابع اللغة العربية التي كانت ولم تزل في مقدمة المقومات العربية والإسلامية ، لكونها مستودعاً فياضاً بالنتاج الحضاري ، الذي كان من أخصه ، الأدب ، نثراً وشعراً ، فلم يعد الدارس يجد في معظمه شيئاً يلفت النظر ، يتبين فيه مقدار تطوره في تعبيره عن ذات العربي ، والمرامي التي يقصد إليها .

غير أنّ الدارس يستطيع الاهتداء الىٰ أمثلة شعرية ، تنتمي الىٰ أواخر القرن الماضي ، حيث تضافرت علىٰ نسجها جهود كثير من الشعراء ، والمتمحص في هذه النماذج الشعرية ، يحس أن مادتها كانت لا تتعدىٰ الفنون التقليدية من حماسة ، وفخر ورثاء ووصف ومدح[1] .. إلخ .

وعلىٰ الرغم من انسكاب هذه المادة الشعرية في مثل هذه الفنون المألوفة ، فإن المرء يلمس فيها المأساة التي بدأت تطفو علىٰ معانيها من خلال الأنماط التي تعبر عن الظلم الذي قاومه الشعراء الشيوخ المسلمون من الذين حملوا في ذاتيتهم صفة الاحترام للقديم الذي ارتبط بالإسلام والعرب عبر القرون المتعاقبة ، إذ كان نتاجهم الشعري يحتوي علىٰ مدائح نبوية علىٰ نسق البردة و الهمزة[2] وعلىٰ روح دينية هادئة قانعة ، لا تعدو الهروب من الواقع تتظلل تحت أفياء الدعة تاركة للمستعمر الفرنسي ما يحلو له ، إلّا الشكوىٰ .

غير أن الحال لم تبق علىٰ ما هي عليه ، فسرعان ما أخذ الشعراء ينظمون بالفنون الجديدة الىٰ جانب الفنون التقليدية كالشعر السياسي والاجتماعي ، وظهرت فنون أدبية نثرية كالقصة ، والمسرحية ، والمقالة ، فتوسعت آفاقها ، وتعمقت معانيها ، بسبب عوامل كثيرة كان من أبرزها اليقظة السياسية التي تولدت عنها شرارة الثورة ضد الدخيل الأجنبي فيما بعد .

وكان لابد من أن ينشأ نقد بسيط في بداية ذلك الأدب ، ثم يتسع ويتطور ، ويأخذ اتجاهات علمية وفنية مع مرور الزمن ، عبر التجربة المريرة التي مرّ بها القطر الجزائري .

من هنا رأيت ـ من المناسب ـ وأنا أتتبع الحركة الأدبية في منابعها الأصيلة أن أستعرض الحركة النقدية التي بدأت في أواخر القرن الماضي . وقد حاولت ـ قدر الإمكان ـ أن أبين أبرز صفات الأدب الجزائري من خلال ظاهرة النقد هذه وأرجو أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً لدراساتنا الحديثة . ومن الله التوفيق .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

سير الحركة النقدية

المرحلة الأولى :

تمتد هذه المرحلة من أواخر القرن الماضي ، وتنتهي بعد منتصف العقد الثالث من القرن الحالي ، أو بعبارة أوضح حتىٰ بروز ظاهرة النقد عند ابن باديس والعمودي ، فقد كان النقد فيها يقيّم الأدب ـ الشعر خاصة ـ حسب اتفاقه مع قواعد النحو والصرف والعروض ، والتقاليد البلاغية المألوفة في الأزمان السالفة ، بغض النظر عما يتضمنه من المفاهيم الفكرية والصور الخيالية .

ومن هنا نلحظ أن النقد ـ في هذه الفترة ـ لم يعن بوحدة القصيدة ، ولم يلتفت الىٰ مقدار ما تحتوي عليه من وسائل النهوض بالأمة الإسلامية .

فقد جرت محاورة بين الشيخ أحمد المجاهد الحسني والشيخ محمد بن مصطفىٰ المشرفي تركزت حول الحديث عن قواعد النحو ، والصرف ، والعَروض في أبيات قالها الشيخ أحمد المجاهد علىٰ « مستفعلُ فاعلُ فعولُ » . فقد ردَّ عليه صديقه بعنف بأنه خرج علىٰ أوزان الخليل ، لأن هذا الوزن لم يأت في بحور دوائر الخليل الخمس ، المستعمل منها والمهمل[٣] . من أجل ذلك فالشيخ جاهل في نظر صديقه بعلم العَروض ، والبلاغة والنحو .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه المرحلة ـ التي اقتصر نتاجها علىٰ الشعر في الأغلب الأعم ـ تميزت بالمحافظة علىٰ القديم حيث مثلها بعض الشيوخ الذين شددوا علىٰ الأخذ من القديم والتحرز من الجديد في قيمه الفنية والموضوعية ، ذلك لأن القديم ميراث قومي وإسلامي يجب الاعتماد عليه والعودة إليه . والتمسك به مهما كانت قيمته الجمالية .

وكان الشيوخ ، أبو القاسم الحفناوي ، وعبد القادر المجاوي ، والمولود بن موهوب ، ومحمد بن أبي شنب ، ومحمد كحّول ، علىٰ رأس النقاد في هذه الفترة . وكان نقدهم ينقل الىٰ أبناء الجيل من خلال الدروس والمحاضرات والندوات التي يعقدونها في (الثعالبية) و (نادي صالح باي) و (مدرسة الجزائر) .

غير أنّ هذه الفترة التي تقبلت القديم ، ورضيت بآراء الشيوخ ، لم تخل من تأملات لمّح فيها أصحابها بومضات جديدة تبشر بالتطور إلىٰ الأفضل باتجاه النقد العلمي .

فقد كتب أحد النقاد في مجلة (كوكب أفريقيا) سنة ١٩٠٩ مقالاً ناقش فيه قضية تتصل بالقصيدة ، فقد تعرض إلىٰ القافية الواحدة التي أثارها آنذاك المرحوم الزهاوي ، الشاعر العراقي المشهور ، مشيراً إلىٰ اليوم الذي يتخلىٰ فيه الشاعر عن القافية الواحدة بتطوير نماذجه الشعرية . وكان مقاله هذا بعنوان (الشعر المرسل)[٤] .

وهذا الحوار يدلّ دلالة واضحة ـ لو قدر له الاستمرار ـ علىٰ بداية حسنة لتطور فن النقد ، غير أن هذه المحاولة كانت صرخة في واد ما لبثت أن تبددت ، ولم تسهم في إرساء قواعد جديدة للنقد الأدبي ، ويعود ذلك أساساً الىٰ غالبية النقاد حيث كانوا ـ كما أشرت آنفاً ـ من رجال الإصلاح ، وهم بطبيعة الحال محافظون في نظرتهم للنقد بمفهومه المألوف ، ثم أن التقاليد النقدية لم تترسخ آنذاك في البيئة الأدبية في القطر الجزائري يضاف الىٰ ذلك أن النقد كان نادراً ، لأن الشعر كان قصائد قليلة بينها وبين سليم الشعر مراحل نزلت بمستوىٰ ناظميها عن مستوىٰ أسلافهم من المطّبوعين ، كذلك ضعف النقد لضعف هذا الشعر .

من هنا لم يستطع هذا النقد أن يقدم للشعر ـ الذي كان مادة النقد آنذاك ـ توجيهاً يأخذه باتجاه المجرىٰ الصحيح نحو الأدب البناء موضوعاً وفناً « فلم يوجد النقد بأية صورة وخاصة النقد التطبيقي ليستفيد منه الشاعر ، ومن ثم بقي الإحساس بالشعر لا يزيد عن التجاوب العاطفي المحض دون أن يتكلف ناقد أو أديب

مشقة البحث والكشف عن ضعف الشعر طوال ثلث قرن وأن ما وجد من نقد لا يزيد علىٰ كلمات عامة تنصب علىٰ الجزئيات مثل اللفظ والمعنىٰ ، أو أن الشاعر أحسن في هذا البيت ولم يحسن في الآخر ... »[٥] .

وما نشر في مجلة (الشهاب) آنذاك يوضح واقع النقد في فترة العشرينات حيث يقول فيه صاحبه : «أعرض علىٰ أدبائنا وكتابنا الجزائريين هذه القصيدة ، وأرجو من كل أديب ... أن ينتقدها انتقاداً[٦] أدبياً ، وأن يرينا أنموذجاً من هذا الفن الجميل فن النقد الذي هو منبر الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب ، والصحيح من الفاسد ، فهل يتقدم أحد من حَمله الأقلام منا الىٰ هذه القصيدة فينقدها بإمعان ... »[٧] .

فالنص يدلّ علىٰ أن صاحبه كان علىٰ وعي بضعف النقد في تلك الفترة ، ومع ضعفه فقد كان يعنىٰ بالمفهوم القديم ، فهو لا يزيد علىٰ كونه (الكلام الموزون المقفىٰ المتكون من أجزاء تسمىٰ تفاعيل) بعيداً عن النظر الىٰ نوع الشعر وما يحتويه من مضمون .

غير أن هذه النظرة بدأت تتغير في العقد الثالث من هذا القرن حيث طلب من الشعر أن يكون تعبيراً « ... عن شعور خاص وعن انفعال للشاعر يعكسه في صيغة جميلة ، وفي نظرة حكيمة تجسم موقفاً تجاه الحياة والطبيعة والإنسان بأسلوب جميل مؤثر الموسيقىٰ ... »[٨] .

وهكذا أصبح الأدب ـ لا سيما الشعر بوجه خاص ـ يفهم علىٰ أنه تعبير عن مشاكل الإنسان الجزائري ، وهمومه ، وآماله ، وآلامه فبرزت ظاهرة ـ كما أشرت ـ هي الإحساس بضعفه ، وركوده ، وتخلفه عن مواكبة متطلبات العصر من ناحية ، والمجتمع الجزائري من ناحية ثانية ، وهذا الإحساس دفع النقاد إلىٰ احترام الأغراض الشعرية القديمة التي قيلت في المجالات الإنسانية الشريفة وذم الأغراض التي أراد بها أصحابها أن يجعلوا منها سوقاً للنفع ، وذلك الاحترام كان نتيجة طبيعية تتمشىٰ مع الفكر الإصلاحي الذي كانت الجزائر بحاجة إليه ليقودها نحو التحرير ، من أجل ذلك قال شاعرهم :[٩]

الشعر يزري بأهل العلم ما اتضعا ... بذم ما انحط ، أو بمدح ما ارتفعا
ترىٰ الدواوين ملأى بالسفاف لا ... تلوي علىٰ الخير أو تصد مبتدعا
منها ولوعٌ بمدح الظلم ممتطياً ... مطية الخوف أو عادلًا طمعا
لكن شعراً يقول الحق صاحبه ... فرض علىٰ كل من في فنه برعا[١٠]

المرحلة الثانية :

أصبح إحساس الأديب والناقد في هذه المرحلة يختلف عمّا سبق فقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والعمودي وغيرهما ينسجون النموذج الجديد لهذه الفترة التي بدأت بنهاية الثلاثينات أو قبيلها فقد كان لابن باديس « طرائق في الأدب وأساليبه من اللفظة الجزئية حتىٰ البناء الكامل ، فقد كان للشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة كلها تشهد له بالحذق والبراعة إذ كان يدعو تلاميذه والمنتفعين بثقافته إلىٰ القديم والجديد معاً ، القديم في محاسنه ورزانته ، والجديد في طلاقته وتطوره ، وإذا كانت هذه الدعوة من الشيخ عامة تشمل أساليب الإصلاح جميعاً فقد كانت أوضح ما تكون فيما عالجه من وسائل الأدب لتلاميذه ولا سيما في دراسته للكامل والأمالي وغيرهما ... »[١١][١٢] .

أما العمودي ، فقد كان يمثل قمة المأساة التي تحاول البحث عن الحل بواسطة الثورة ، فهو من أجل ذلك قد ربط حياته الأدبية بحياة كل جزائري ، فكتب من مدينة (بسكرىٰ)[١٣]سنة ١٩٢٧ م قائلًا : « ... أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري حياةٌ بلا غاية ، وبلا أمل ، حياةُ من لا يأسف علىٰ أمسه ولا يغتبط بيومه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يثق بغده ... »[١٤] . والعمودي يعبر في كلامه هذا عمّا يكنه من الألم الذي كان دفيناً في أعماق نفسه تجاه الطامع الفرنسي ، ونلحظ في مقالته هذه أنه أدخل وظيفة جديدة للأدب بفن جديد هو فن المقالة ، وبذلك أصبحت المقالة تحمل صرخة صادقة توجه لدحر ذلك الغازي من ناحية ، ولتهيئة الجماهير للثورة من ناحية ثانية . ومن هنا نحس أن ما قدمه العمودي كان فاتحة جديدة لدخول مضمون جديد للأدب الجزائري الذي فرضه واقع الحال على الشعب الجزائري ، ولذلك فالعمودي ـ كما وصفه الدكتور صالح خرفي « ... لا يستسلم للريح تعصف بأفنائه ، ولا للسموم تعبث بأزهاره ، وإنما يكشف لنا عن وجه من التحدي والطموح الجامح لا يزيده أزورار الحياة إلا ثباتاً في الخطوة ، وعزة في النفس ، ولا يلمس في نضوب الحياة .. إلا مظهراً للخصب المعنوي ... »[١٥] .

المرحلة الثالثة :

وكان يمثلها الشيخ البشير الإبراهيمي .

في الوقت الذي كان فيه الشيخ ابن باديس يعتمد على الدرس ، والمشافهة أكثر ما يعتمد ، نجد البشير الإبراهيمي يعتمد ـ بالدرجة الأولى على القلم . وقد أعطته هذه الميزة ميلاً خاصاً نحو النقد والتوجيه ، فاتخذ من الصحافة ـ ولا سيما صحيفة البصائر ـ منبراً لقيادة الجيل الجديد في الأدب ، سواء فيما كان ينشره من نماذج تثير الإعجاب ، وتدعو إلى الاحتذاء أم فيما كانت تنشره الصحيفة من شروط للنقاد ، والأدباء الذين يرغبون بالمساهمة في الكتابة .

وكانت رابطة الشيخ الإبراهيمي بالجيل ، أكثرمن سابقه ابن باديس[١٦] . فقد كان أبناء الجيل يتحدثون إليه في ما يخص الأدب ـ إن كان قديماً ، وإن كان حديثاً ـ وينشدون الشعر بين يديه ، وكان الشيخ ينقدهم بشدة ، ويشير إلى مواطن الضعف ، وقد يستحث المجتهدين على الاستزادة ، ويضع أمامهم النماذج الرائعة من الشعر والنثر القديم والحديث ـ وإن كان ما عرف عن الشيخ من كثرة الحفظ قد دفع الأدباء الى الإغراء والإعجاب بآرائه في النقد والأدب ، وتبدو الجرأة النقدية واضحة في هذه الفترة لأنها وجدت الطريق معبدة أمامها من السابق ، وبذلك أصبحت آراء أصحابها مقبولة الى حدّ ما فاتجه النقاد بالأدب من خلال آرائهم نحو البساطة والواقعية ، والاقتراب من ذهن القارىء والسامع في الأداء ، كما أرادوا له أن يتناول موضوعات تتصل بحياة الإنسان الجزائري ومشاكله وآماله المستقبلية ، ومن هنا نجد النقد الأدبي قد رسم طريقاً جديداً للأدب .

المرحلة الرابعة :

وتبتدىء بنهاية الحرب العالمية الثانية حيث نجد فيها نماذج أدبية اخذت تتحرر في أساليبها ومواضيعها عن القديم ، كما ظهر فيها نقاد حاولوا أن ينتهجوا بعض المذاهب النقدية التي اكتسبوها من ثقافتهم الحديثة ، فظهر مثلاً المذهب الواقعي واضحاً في نتاج (أحمد رضا حوحو) . والمذهب السلوكي في كتابات أحمد ابن دياب ، وازداد الشعر رومانتيكية بالشكوى والثورة .

وكان يمثل نقد هذه الفترة (حمزة بوكوشه) و (عبد الوهاب بن منصور) و (مولود الطياب) ، وكان مولود هذا أكثرهم نقداً ، وأقربهم إلى الموضوعية الهادئة .

وقد اكتسبت هذه المرحلة تجربةً خصبة في النقد بفضل الفكر الجديد الذي تضمنه الأدب بفنونه الجديدة ، كالقصة ، والمسرحية والخاطرة . كل ذلك أدى إلى ظهور حركة نقدية على مستوى الأدب أو تكاد ، وإن لم تصل إلى حد النقد العلمي . وكانت هناك معارك نقدية وأدبية منها المعركة التي دارت حول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقال كتبه أحدهم بعنوان « مالهم لا ينطقون »[١٧] ساهم فيها أدباء الفترة ونقادها ، وانقسموا إلىٰ فريقين : أحدهما يلوم الأدب والأدباء . والثاني يدافع عنهما . ويحمل الظروف تبعة تأخر الأدب .

وقد كان الفضل في ابراز هذه المعركة النقدية لصحيفة البصائر التي عادت للظهور ثانية بعد الحرب العالمية الثانية . فقد أتاحت هذه الصحيفة الفرصة للنقاد بأن يعبروا عن إحساسهم بالقضايا التي شغلت الأدباء .

ويمكن أن نعتبر هذه الفترة فترة الشعور الملح بأهمية النقد والأدب ، ومن أجل ذلك نجد كثيراً من النقاد والأدباء يتشاركون بالدعوة الىٰ النهوض بالنقد والأدب لا سيما الاهتمام بالقصة حيث احتل دوراً ملحوظاً .

غير أن هذه الرغبة الملحة لإيجاد نقد وأدب مختلف الفنون ، بقيت في أهم جوانبها دعوة نظرية لم تثمر نقداً وأدباً عمليين ، فإننا لا نكاد نجد من تصدىٰ لنقد القصة . ومن تصدوا لنقد الشعر كانوا قليلين ، لا نجد بينهم من نقد نقداً عملياً بالمفهوم السليم في حين نجد عرضاً لأبيات القصيدة ، أو المقطوعة ، لم يكن بقصد النقد الحقيقي بحيث يفسر لنا الناقد فيه العناصر التي تتكون منها هذه القصيدة أو المقطوعة .

إذن ما أثير حول الشعر والقصة من حوار لا يعدو المناقشات التي طغا عليها التيار الشخصي ، وإذا كانت الثورة في بدايتها قد أعطت مجالًا جديداً للنقاد والأدباء ساعدهم علىٰ أن يطوروا ويتطوروا في نتاجهم ، فإن هذا التطور في النقد خاصة ظل ضعيفاً أثناء حرب التحرير بفعل قساوة الظروف التي لم تدع للناقد الوقت الكافي لكي يتأمل ويقارن ، ويوجه ، وهو كذلك لم يجد الأداة التي يعبر بها .

النقد بعد الثورة والاستقلال وتطور اتجاهاته

كان لابد من أن يتأثر النقد بهذا الوضع الجديد ، وأن تظهر ومضات للتجديد في الأدب ، وأخرىٰ للنقد ، أملاً في إيجاد فنون أدبية جديدة ، وحرصاً علىٰ تثبيت قواعد نقدية علمية ، ومن أجل ذلك أثيرت قضية (المضمون والشكل) و (الالتزام والهدف) و (الوحدة في القصيدة) . ولم يشر أحد الىٰ (الأدب المهموس) ذلك لأن الأدب الجزائري ـ إبان هذه الحقبة ـ في أكثر فنونه كان يميل الىٰ الخطاب المباشر لحاجته الىٰ الروح الثورية . وكانت الإثارة لهذه القضايا الأدبية ، من خلال النقد الذي يمكن أن نصنف اتجاهاته إلىٰ النقد الانطباعي والمنهجي ، والنظري والجامعي :

١ ـ النقد الانطباعي التأثري :

وكان في بداية الأمر يعبر فيه الناقد عن إحساسه الأول بما يقرأ فيعبر عنه بمقال يكشف فيه عمّا شعر به في هذا العمل الأدبي من أسلوب جميل ، أو ما انطبع في ذهنه عنه ، أو ما وجد فيه من شعور لذيذ ، أو غير لذيذ ، أو ما أثار في نفسه من أفكار وآراء يوافق عليها أو يرفضها ، وهذا النقد مازال سائداً في كتابات بعض النقاد[١٨] . وقد ساعد علىٰ إيجاده عامل السرعة الذي تميزت به هذه المرحلة مضافاً إليه ظروف الناقد الخاصة ، من قلة ثقافة ، وغيرها ، لكونه لا يستطيع أن يواكب القراءة الهادئة المستمرة العميقة بل ظل يكتفي بالقراءة العابرة التي لا تكلفه جهداً ، ومشقة تجاه الأعمال الأدبية وتجاه القراء أيضاً وخاصة لدىٰ هؤلاء هواة النقد من غير المتعمقين ، لا سيما نقاد الصحف .. من ذلك ما جاء في (باب شاعر وقصيدة)[١٩] حيث نجد كثيراً من النقاد تعرضوا لنقد قصائد مختلفة فنقدوها نقداً سريعاً من ذلك قصيدة الأمين العمودي التي كانت قد نظمت سنة ١٩٢٧ ، وقصيدة محمد العيد التي كان قد نظمها سنة ١٩٣٤ م وألقاها في حفلة خيرية في (الجزائر) العاصمة ، وقصيدة (خبّاش) التي كان قد نظمها في سفور المرأة آنذاك .

وإذا تأملنا في نقد أبي حسام لقصيدة محمد العيد ، نجد أن هذا الناقد يندفع بانفعال نافياً عن محمد العيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعرية التي تجعله في مصاف الأدباء ، فهو في نظره مجرد ناظم ليس غير . لأنه ينظم ألفاظاً خالية من العاطفة ، والشعور اللازم لكل شاعر ، وهاتان الصفتان ــ كما يراهما الناقد ــ هما من أهم الدلائل علىٰ صدق شاعرية الشاعر ، وتشويق القراء للاطلاع علىٰ نتاجه ، وهما لا تتوفران في شعر محمد العيد[٢٠] .

وبطبيعة الحال إنّ مثل هذا النقد غير مقبول لدىٰ المتبحرين بفن النقد والمطلعين علىٰ نتاج الشيخ محمد العيد ، ولذلك نجد الدكتور محمد مصايف ــ بعد زمن ــ يرفض معايير الناقد أبي حسام فيقول : « ... فليست شاعرية محمد العيد عبارة عن صورة وهمية لا يمكن أن يحددها الأديب فيكتفي بالتلميح إليها وإلقاء الكلام حولها دون ما دعامة ملموسة يقوم عليها ما لمحمد من شعر كثير ، وله بصفة خاصة ديوان معروض في واجهات مكتباتنا ، ويدرس من قصائده في مدارسنا ، ومعاهدنا ، وألقيت في محمد العيد وشاعريته محاضرات ، وقال فيه أدباء جزائريون ، وآخرون شرقيون أشياء قد يحسن الاطلاع عليها ... »[٢١] .

وكلام الدكتور مصايف يشير الىٰ أن ناقدنا كان غير مطلع علىٰ شعر شاعرنا إلا القليل منه ، وهو ــ حتىٰ ــ لم يتأمل في هذا القليل ، وعلىٰ الرغم من ذلك بنىٰ أحكامه النقدية هذه لمجرد قراءة قصيدة أو أكثر من شعره .

ومهما يكن الأمر فإننا لم نجد في هذه المحاولات التي أطلعنا عليها محاولة نقدية جادة تناولت الفن الشعري في القطر الجزائري من جميع جوانبه الموضوعية والفنية ــ لشاعر أو لجيل من الشعراء ــ ولم تستند هذه المحاولات النقدية في أساسها علىٰ مذهب من مذاهب النقد الأدبي ، بل بقيت مجموعة أقوال وأحاديث من القبول أو الرفض لبعض القصائد ، فهي لا تمت الىٰ التحليل النقدي بصلة ما .

وعلىٰ ذلك يمكن أن نعدها من باب النقد التأثري الذاتي ، وكان يجب علىٰ الناقد أن يتأمل في نتاج الشاعر جملة لا أن ينظر الىٰ قصيدة واحدة ثم يبني آراءه الشخصية علىٰ أساس النظرة السريعة لهذه القصيدة أو تلك ، يؤيدنا في ذلك الدكتور محمد مصايف في مقالة كتبها في ٥ / ١٠ / ١٩٦٨ بعنوان « محمد العيد بين خصومه والمعجبين به » قال : « ... كان من واجب أنصار وخصوم محمد العيد آل خليفة أن يقدموا للقراء نماذج من شعره ، ويشفعوا هذه النماذج بتعليقات توضح عمق معانيها ، وتزيل غموض ألفاظها ، وتشرح الصور والأخيلة التي اعتمدها الشاعر في التعبير عما يختلج في نفسه من عواطف ، وإحساسات ، وفي أثناء كل ذلك يكون للناقد الوقت الضروري لتكوين رأيه في شاعرية محمد العيد كما عليه أن يتأنىٰ في إصدار أحكامه حتىٰ يتأكد من صوابها ، أو علىٰ الأقل من قربها من الصواب ... »[٢٢] .

٢ ــ النقد المنهجي التطبيقي :

ويتمثل هذا النقد ــ غالباً ــ في ما كتبه الدكتور عبد اللّه ركيبي في محاولاته التي أصدرها عام ١٩٦٥ م وما بعدها من المحاولات التي نقد بها القصة القصيرة قائلًا : « ... لعل محاولاتي سنة ١٩٦٥ م ــ وما ــ بعدها لدراسة القصة القصيرة ونقدها نقداً تطبيقياً كانت تعبيراً عن الفراغ الذي أحسسته في مجال النقد الموضوعي التطبيقي ثم محاولات بعض النقاد بعد ذلك فيما يتعلق بالأدب بوجه عام هي أيضاً في تقديري كان الدافع لها هذا الشعور العام بأن الأدب الجزائري يحتاج الىٰ عناية من الباحثين والنقاد لوضعه في مكانه الصحيح[٢٣] .

ومن محاولات النقد التطبيقي ــ محاولة الدكتور محمد مصايف في كتابه « فصول في النقد الأدبي الجزائري » الذي تعرض فيه الىٰ ما يأتي :

١ ــ نقد الشعر ــ وخاصة قصائد محمد العيد آل خليفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ نقد المسرحية .
٣ ــ نقد القصة .

أولاً : نقد الشعر ويشمل[٢٤]

أ ــ (محمد العيد بين خصومه والمعجبين به) مقالة كتبت بتاريخ ٥ / ١٠ / ١٩٦٨ .

ب ــ (من إسلاميات محمد العيد) مقالة كتبت بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٦٨ .

جـ ــ (من إسلاميات محمد العيد) مقالة كتبت بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٨ .

د ــ (قصيدة إلىٰ أفريقيا) للشاعر أبي قاسم حماد ــ مقالة كتبت بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٩ .

ثانياً : نقد المسرحية ويشمل[٢٥]

أ ــ (عند احمرار الفجر) مسرحية لـ (آسيا جبار ، ووليد غارن) مقالة كتبت بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٦٩ .

ب ــ (التراب) مسرحية للدكتور (أبو العيد دودو) مقالة كتبت بتاريخ ٦ / ١ / ١٩٧٠ .

ثالثاً : نقد القصة ويشمل مقالات نقدية منها

أ ــ (الحلم الضائع) و (اللغز) لتغدوين محمد ، ومصعود محمد الصغير مقالة كتبت بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ .

ب ــ (ومضة خاطفة) و (نساء للبيع) لعبد الرحمن مضوي وعبد الملك مرتاض ــ مقالة كتبت بتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٩٦٩ .

جـ ــ (عروس زكار والرجوع إلى العالم المجهول) لعبد الرحمن سلامة مقالة كتبت بتاريخ ١٩٧١/٥/٢١ . .

ونثبت له هنا نماذج من نقده لبعض القصائد والمسرحيات ، قال في نقده لقصيدة (من إسلاميات محمد العيد) ، وعنوانها (هيهات يُخزىٰ المسلمون) «إنها تتألف من ثلاثة أقسام رئيسية ، أو ثلاثة مواضيع مختلفة علىٰ ما بينها من صلة ، وبالرغم مما أحسن الشاعر من ربط بينها ، وتخلص من موضوع إلىٰ موضوع ، وكأني بالشاعر محمد العيد محافظا علىٰ العمود الفني التقليدي للقصيدة العربية فهو وإن لم يكن يبتدىء قصيدته هذه بالبكاء علىٰ الأطلال ، ولا بالنسيب والتشبيب[٢٦] إلا انه يحترز من الهجوم علىٰ موضوعه هجوماً ويحتاط بأن يقدم له بمدخل لا يتناقض مع صلب الموضوع تناقضاً كاملًا ، ولكنه لا يشكل معه جزءاً ضرورياً لبناء القصيدة كوحدة متميزة ذات سمات فنية بارزة ، فالشاعر يعنون للحديث عن المسلمين ... ولكنه يرىٰ أن من واجبه أن يقدم لحديثه عن المسلمين بتوطئة طويلة يبسط فيها القول عن الله والأنبياء والشرائع ... ولنرىٰ الأقسام التي تؤلف قصيدة محمد العيد وهي علىٰ التوالي : الإسلام وما يتصل به ، والمسلمون والجزائر والجزائريون .

وبعد فإن شئت أن أوجز الخاتمة في تقديم هذه القصيدة ، فلن أزيد علىٰ تأكيد أن محمد العيد شاعر ماهر يوفر لشعره معظم ما يطلب في هذا الفن من شروط وظروف ، وكل ما أستطيع أن آخذه عليه في هذه القصيدة هو التفكك في الموضوع ، وهذا التعبير المباشر الذي آثره علىٰ استعمال الخيال الذي كثيراً ما يرجىٰ في النصوص الشعرية وقد قلت : إن انعدام الخيال أو قلته في هذه القصيدة كان من حسنات هذه الأخيرة نظراً للجمهور الذي أُلقيت فيه .... »[٢٧] .

وقال في نقده لمسرحية (التراب) « ... للدخول في الموضوع أنبه إلىٰ أن مسرحية التراب أُلفت في السنة الأولىٰ للثورة الجزائرية وأنّ عنوانها يصدق علىٰ موضوعها تمام الصدق وهو يعني بعبارة أوضح الوطن أو

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأرض التي ولد فيها الإنسان الجزائري وكأنه مربوط إليها بحبال يستعصي على الزمان قطعها ... » فالمؤلف يركز في هذه المسرحية الحوار حول تعلق الفرد الجزائري بوطنه « ... والشيء الذي يمكن اعتباره من حسنات المسرحية هذه الأخلاق التي تحلى بها معظم الشخصيات التي عهد إليها بأدوار هامة ... وفي المسرحية عنصر آخر يقربها الى النفوس رغم موضوعها الجاد وهو عنصر الفكاهة والدعابة ، وقد كان أعضاء فرقة كريم وحميد متفقين على وجوب الاستمتاع بهذا العنصر الضروري .

وفي المسرحية عنصر ثالث ليس أقلّ من السابقين اسهاماً في هذا الأثر الوطني .. وهو عنصر المفاجآت أو العقد إذا آثرت التعبير الفني .... »(٢٨) ثم يقيّم الناقد المسرحية قائلا : « هذه هي المسرحية باختصار ، وهي مسرحية قيمة كما رأى القارىء ، وغنية بالأحداث التي تتكامل فتسير في خط واحد وهو بلورة الفكرة الثورية لدى الجزائريين ، أمّا اسلوبها فكان اسلوباً مثالياً يتوفر على السلاسة الضرورية ، وصحة اللغة ، ولو كان المؤلف قد جَوَّز لنفسه من حين لآخر استعمال بعض الكلمات والعبارات العامية ، ولعله سوغ ذلك لنفسه مراعاة لظروف الشخصيات ، ولكنني مع ذلك كنت أوثر أسلوباً متحداً ، ولغة نقية في كل عبارة من عبارات الحوار ... »(٢٩) .

٣ ـ النقد النظري العام :

وهو ينظر الى الأدب ككل فيتحدث عنه سلباً أو إيجاباً ، أو ينظر الى جزء من الأدب كالشعر ، أو القصة فالدكتور صالح خرفي ـ مثلاً ـ عندما يتحدث عن خصوبة المادة وجدب التعبير في الأدب الجزائري يقول : « .... وقد عرفت الجزائر في عهد الاحتلال بالخصوبة في المادة الموضوعية ، والموضوع المأساتي أكثر خصوبة ، وأشد غزارة بينا ظلت الأداة التعبيرية تعاني من الجدب القاتل ، والحرمان من المورد المغذي ، فأيّ تفاوت مريع يلاحظه الناقد بين تضخم المادة ، وتقلص التعبير ؟ ، بين اندفاع الإحساس وتعثر الكلمة ؟ ، والخصوبة والجدب هنا من خلق المستعمر المتسلط فهو الذي يكوّم المآسي .

إن الحرمان الأدبي الذي حوصرت به اللغة العربية في الجزائر ولّد فيها نوعاً من القناعة الموروثة ، أصبحت شبحاً مطارداً للثقافة العربية ، ونزيفاً مدمناً للمثقف العربي ، القناعة عن مدّ اليد إلى جديد ، وتطلع العين الى مزيد ، وهنا كان الوأد البشع لمورد لا يغذيه نبع فجفت البواكير في أيام موسمها الأولى ، وذوت الأكمام قبل أن تفتر عن أوراق ، وقليلة هي تلك الورود التي اجتازت الموسم محتفظة بنضارتها وعبيرها ... »(٣٠) .

غير أن الدكتور خرفي الذي يقول هذا الكلام يعود فيقول عن محمد العيد ـ أحد شعراء تلك الفترة الذين وصفهم بجدب التعبير ـ بأنه يفيض « ... إنسانية نابضة لم تطرأ على الشاعر ، ولم يصادفها في منعرج من منعرجات طريقه الطويل ، ولكنها بزغت مع بزوغ شعره ، وأطلت مبكرة مع أبياته الأولى ، وليدة الفطرة ، وليست وليدة الصدفة ... وإن قصائده (في ذمة التاريخ) و (أسطر الكون) و (تحية الشبيبة) و (تاعس ناعس) و (خيرية) وغيرها لتقدم لنا صورة قاتمة من مأساة الجزائر في عهد الاستعمار والحالة الجزائرية المتردية التي عانى منها الشعب ... »(٣١) .

وبطبيعة الحال فإنّ هذه المأساة التي وصفها الدكتور خرفي لا يمكن أن تكون مأساة نشعر بها ـ ويشعر بها الناقد نفسه ـ ما لم تصغ بلغة تنبض حياة تنقل للقارىء والناقد هذه المشاعر .

ويتحدث الدكتور عبد الله ركيبي عن مفهوم الاختلاف حول وحدة القصيدة قائلا : « ... وواقع الأمر أن مفهوم وحدة القصيدة يختلف باختلاف تجارب الشعراء ، ومدى ادراكهم لتطور أشكال القصيدة وبنائها ، ولكن يمكن القول بعامة إن شعراء الجيل القديم ساروا على نسق القصيدة العربية التقليدية ، أما الشعراء الجدد فقد حاولوا أن يغيروا في نظرتهم لمفهوم القديم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأن يلتزموا بمفهوم القصيدة الحديث . فالجيل القديم لم يعن بوحدة القصيدة في الموضوع بحيث يختار الشاعر موضوعاً معيناً فيتخذ له كل الوسائل التعبيرية لينقل لنا تجربته التي عاشها بل علىٰ العكس من ذلك نجد الشاعر من هؤلاء ينتقل من موضوع الىٰ آخر ، ويقفز من موقف الىٰ غيره ، ومن فكرة الىٰ ثانية دون أن يلتزم بوحدة في الموضوع الذي عنون به قصيدته ، كذلك لم يراع بناء القصيدة التي يجعل منها وحدة متكاملة مترابطة في أجزائها كل جزء منها يؤدي للذي يليه حتىٰ نهاية القصيدة ، ومن ثم انعدمت فيها تلك الوحدة المعنوية التي تلتحم فيها كل الأفكار والآراء ... »[٣٢] .

٤ ـ النقد الجامعي :

الدراسات النقدية الجامعية يغلب عليها طابع التاريخ الأدبي فهي من هذه الناحية نقد يعنىٰ بالجانب الجمالي ، لأنها تلاحق الأدب في مراحله المختلفة ، فتنصب علىٰ الصورة والمضمون في حين يتحتم علىٰ الدراسة النقدية أن تتناول العناصر المختلفة التي يتكون منها العمل الفني سواء من حيث المضمون أم من حيث الشكل لكي تكون وافية متكاملة ، وبذلك يمكن أن نرصد السمات العامة والخاصة للأدب والأديب ليظهر مدىٰ التطور أو عدمه بالنسبة للمرحلة المدروسة حتىٰ يساعد النقد علىٰ اثارة القضايا التي تفيد المنشىء والمتلقي إلا أن الأدب :

« .... بعد الاستقلال بدأ ... يدخل في تجارب جديدة ، وبدأت تظهر نزعات ـ ولا أقول مدارس ـ أو مذاهب ـ فظهر ما يمكن أن أسميه ببذور النقد المذهبي بالمعنىٰ العام لهذا المصطلح ، ولو تعهدنا هذه البذور لربما ازدهر النقد ، واتسعت آفاقه »[٣٣] في ظل الجامعات الجزائرية للسير في الاتجاهات النقدية الصحيحة .

صفات الشعر الجزائري في ظل النقد الجزائري

وجد نقاد الجزائر سمات بارزة لأدبهم من خلال تتبعهم له يمكن أن ندرجها فيما يأتي :

١ ـ التقليد :

ونعني به تقليد التراث العربي الشعري ، إذ أن الشعر الجزائري في نهضته الحديثة استمد مصادره من رافدين اثنين :

أحدهما : النهضة الأدبية الحديثة في المشرق العربي .

والثاني : التراث العربي والإسلامي .

فهما الرافدان الأصيلان اللذان أحيتهما النهضة الحديثة في بدايتها حيث أنها لم تكن أكثر من الخروج بالقصيدة من عهد الانحطاط والرجوع بها إلىٰ هذين الرافدين ، فإذا استبعدنا مضمون القصيدة الحديثة الذي حمل مشكلات العصر ؟ نجدها لا تختلف عن القصيدة الغنائية في المشرق العربي ، فقد كان للتعلق المفرط بشعراء النهضة في المشرق أثر كبير في تركيز الطابع التقليدي علىٰ القصيدة الجزائرية التي لم تسعفها الظروف بالاتصال المباشر بالمنابع الأولىٰ لذلك كانت تشطيراً ، أو تخميساً لقصائد (شوقي) و (حافظ) و (الرصافي) ، أو مدحاً ورثاءً ، وغزلاً تقليدياً ، ولقد أثار هذا الموقف (رمضان حمود) فقال عام ١٩٢٧ م : « نعم إنك لا ترىٰ في هذه السنين الأخيرة إلا مخمساً ومشطراً ، ومعارضاً ، ومحتذياً ، ومادحاً ، وهاجياً ومتغزلاً ومسمطاً الىٰ غير ذلك .... »[٣٤] ثم يعزز رمضان موقفه شعراً ساخراً فيقول :[٣٥] .

أتوا بكـــلام لا يحرك سامعـــاً
عجوزٌ له شطرٌ وشطر هو الصدر
وقد حشروا أجزاءه تحت خيمةٍ
كعظمٍ رميمٍ ناخرٍ ضمه القبرُ
وزين بالوزن الذي صار مقتفىٰ
بـ (قافيةٍ) للشعر يقذفهـا البحر

وقالوا : وضعنا الشعر للناس هادياً
وما هو شعرٌ ساحرٌ لا ولا نثرٌ

يتضح مما تقدم أن السير علىٰ نمط القصيدة الغنائية هو تقليد ، وأن السير علىٰ هدي القصيدة الحديثة هو تجديد في نظر نقاد الجزائر بغض النظر عن المحتوىٰ في هذه القصيدة أو تلك ، من أجل ذلك يقول الدكتور صالح خرفي : « .... وتأتي تجربة الشعر الحر في آخر جولتنا نفساً جديداً في الشعر الجزائري الحديث ، وتطلعاً غير مألوفٍ في المقاييس التقليدية وبالرغم من فقدان القارىء لهذا الشعر في الجزائر فإن الناقد الأدبي ليس في وسعه إلا أن يعترف له بالجرأة الرائدة في طغيان النزعة التقليدية وبالنفحة الجديدة في استحكام الرتابة والمألوف .... »[٣٦] .

٢ ـ التعبير المباشر والنبرة الخطابية :

فإذا كان الأسلوب التقريري المباشر ـ كما يرىٰ البعض ـ من نتائج انحطاط المستوىٰ الثقافي ، ومن سمات بداية النهضات الفكرية ، فإن المضامين التي تطرحها هذه النهضات تكون عادة قريبة المأخذ لا تحتاج الىٰ صور أو اعماق في الأفكار ، فالمضامين في الشعر الجزائري في البداية مضامين دينية إصلاحية وإرشادية عملية ، ومن أجل ذلك جاء الجو الثقافي حولها تقليدياً محدود الأفق ، الأمر الذي فرض الصفة التقريرية ، وانتهاج أسلوب خطابي يتلمس فيه الشاعر أسهل السبل لنقل أفكاره إلىٰ الشعب بصورة واضحة قريبة المأخذ « وأصدق الوسائل تجاوباً مع الجموع التي يخدّرها التثاؤب ، ويمزقها الضياع ، وربما لم تزل تغط في نوم عميق ، ومن هنا يتخذ أسلوب الإثارة والوخز والدعوة الصارخة صورة الأجراس المنذرة بالخطر فتعتمد القصيدة علىٰ الاستفهام والإنكار والتعجب والنداء ، والتحريض ، والأمر ، والنهي ، والألفاظ الرنانة .... »[٣٧] .

وتتخطىٰ القصيدة الجزائرية الأسلوب الخطابي صيغةً وتعبيراً إلىٰ مكونات الخطبة من مقدمات ومواضيع ، وخاتمات ، وكثيراً ما تكون الخاتمة دعاءً أو سلاماً ، أو آية قرآنية ، ولا يمكن أن ننسىٰ عاملاً مهماً وراء هذا التعبير هو أن هذه القصائد قصائد جماهيرية تلتقي بالجماهير من خلال المحافل العامة والمناسبات التي تتخذ صفة الفوران الشعوري .

٣ ـ النغمة الهادئة :

إذا تخطينا نتاج المناسبات والميادين الخطابية إلىٰ نتاج الشاعر الذاتي الذي يخلو فيه للتأمل مع نفسه ، وجدنا فقدان السمات الخطابية ، إذ أن القصيدة ـ في هذا النتاج ـ غدت مناجاة روحية يلفها تعبير رصين وفكرة عميقة ، وعاطفة هادئة ، فالمعاناة الشخصية ، والذاتية القومية يتصف بها الأسلوب الرزين ، وكذلك القصائد الوطنية ذات العمق النفسي هي الأخرىٰ تتجنب الأسلوب الخطابي كما هي الحال في لزوميات الشيخ محمد العيد ، وقد يكون دخول العنصر القصصي عاملاً مهماً في هدوء حدة الخطابة .

ومما تقدم يتبين لنا أن نقاد الجزائر قد نظروا إلىٰ الفن الشعري من زاويتين اثنتين :

الأولىٰ : قياسه بمقدار استجابته لمطالب الشعب الجزائري والأمة العربية والإسلامية .

والثانية : انطباقه ـ قربه أو بعده ـ علىٰ الأساليب التقليدية منها والتجديدية ، أو بعبارة أوضح من حيث كونه شعراً موقعاً بأوزان الخليل ، ومن حيث كونه شعراً ذا تفعيلة واحدة ، فكان ـ الأفضل ـ في نظر الكثيرين منهم أن الشعر كلما ابتعد عن أوزان الخليل وانتهج التفعيلة كان شعراً جديداً ، وهذا ما وجدناه في ما كتبه (أبو القاسم سعد الله) والدكتور محمد مصايف ، والدكتور الركيبي ، والدكتور صالح خرفي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغة الأدب في ظل النقد الجزائري

لقد تعرضت العربية في الجزائر ـ بداهة ـ إلىٰ عوامل وأد أشهرها محاولة طمس معالمها ـ وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها ـ فبدلاً من أن تكون أداة الأدب الرئيسية ، أصبحت في طي النسيان تتجاذبها أسباب ضعف ، فاستعيض عنها باللغة العامية والبربرية والفرنسية وهكذا تعاورت المضامين وسائل تعبيرية كثيرة أدت بطبيعتها إلىٰ إضعاف العربية علىٰ الرغم من محاولات الحفاظ عليها .

وقد انعكس هذا الضعف علىٰ الأدب عامة ، وعلىٰ القصة[٣٨] والمسرحية[٣٩] خاصة ، إذ أن القصة كفن أدبي تحتاج الى لغة مرنة متطورة ، تستطيع أن تعبر بيسر عن أدق الخلجات ، وأعمق المشاعر الإنسانية بأشكال متنوعة ، ولم يكن ذلك من الممكن للعربية أن تتطور وتحافظ علىٰ مرونتها ، وصفاتها لارتباطها بالحركة الإصلاحية التي كان هدفها فقط المحافظة علىٰ العربية لصونها من الضياع الذي كاد يذهب بها « ... ومن هنا فالفكرة الإصلاحية اضطرت ـ في سبيل المحافظة علىٰ الكيان أصلاً ـ أن تصرف الاهتمام عن جعل اللغة العربية لغة فن وأدب بأوسع معاني الكلمة ، فأصبحت من جراء ذلك لغة منبر ومقالة ، وبحث ودراسة ، وقد كان موقف الحركة الإصلاحية هذا ردًّ فعل لاضطهاد اللغة العربية .. وهذا ما دفع رجال الحركة الإصلاحية والمؤمنين بالعربية والعروبة في الجزائر إلىٰ أن يحافظوا علىٰ اللغة بصرف النظر عن تطورها وتطويعها لتعبر عن روح العصر .... »[٤٠] .

لذلك بقيت غريبة عن حياة الجزائريين وخاصة في الفترة الواقعة ما بين الحربين ، ولم تدخل عالم التأليف والتمثيل المسرحي إلّا بعد سنة ١٩٦٨ م فقد عبر عن ذلك محمد مصايف بقوله : « .... مثلت في هذه الأيام مسرحية (الجنة المطوقة) باللغة العربية ، ولعل هذه هي المرة الأولىٰ التي تستعمل اللغة الفصحىٰ في المسرح الوطني من طرف ممثلين جزائريين ولتمثيل رواية جزائرية ـ والغالب ـ كان أن يقدم مسرحنا الوطني مسرحيات باللغة العامية أو اللغة الفرنسية .... »[٤١] .

أما اللغة الفرنسية ، فقد كتب بها كثير من أدباء الجزائر لاسيما المغتربين حيث اتخذوها أداة تعبير موجهة ضد العدو الغازي فأصبحت ـ إلىٰ جانب العربية ـ سلاحاً من أسلحة المعركة في سبيل التحرير .

وأود هنا أن أشير إلىٰ أن تعدد أدوات التعبير في الأدب لا يعني قط أن هناك آداباً منفصلة تتكلم بهذه اللغات بل أن الأدب الجزائري يكوّن وحدة متكاملة ساعدت فئات الشعب المختلفة علىٰ خلقه كما فرضت عليه الظروف أن يخدم قضية الاستقلال الوطني ، ولذلك كانت الصلة مع الأدب الفرنسي عامل إذكاء في الثقافة القومية ، فاستطاع الأديب الجزائري أن ينقل الخبرات المخزونة من الأدب الفرنسي إلىٰ الأدب العربي واللغة العربية ، وهكذا استطاع الجزائريون أن يربطوا بين اللغتين ، وأن يجعلوا من الفرنسية لغة تساعدهم علىٰ التعبير عن قيمهم وأفكارهم وتقاليدهم ، فبدلًا من أن تسلب منهم شخصيتهم كما أرادت لها فرنسا ذلك ، وبدلاً من أن تكون أداة تشويه لقيم الجزائري وتقاليده ، أصبحت لغة تعبير عن الشخصية الجزائرية فنقلوا بذلك واقع الجزائر المرّ من خلالها الىٰ الشعب الفرنسي والىٰ من يفهم الفرنسية من أبناء هذا العالم .

أما العامية في الأدب فقد شجعها الاستعمار الفرنسي ـ ظناً منه أن فعلته هذه تستطيع أن تمزق العربية ، فحاول عبثاً أن يجعل منها لغة مكتوبة ومقروءة بالإضافة الىٰ ذلك فإنه شجع علىٰ بروز اللهجة البربرية فجعل منها لهجة رسمية أيضاً ، وكان يهدف من وراء ذلك إلىٰ أمرين :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولهما : بث روح الفرقة والخلاف بين صفوف أبناء الشعب الجزائري لكي ينفذ من خلال هذه الفرقة الىٰ مقاصده .

وثانيهما : التقليل من شأن العربية ، وطمس معالمها حتىٰ تصبح مجرد لهجة من اللهجات ، وقد رفض المفكرون الجزائريون هذه الخدعة ، فقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

« ... ما هذه النغمة الناشزة التي تصك الأسماع حيناً بعد حين ، والتي لا تظهر إلّا في نوبات من جنون الاستعمار ، ما هذه النغمة السمجة التي ارتفعت قبل سنين في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبائلية ، وإذاعة الأخبار باللسان القبائلي ، ثم ارتفعت قبل أسابيع من قاعة المجلس الجزائري بلزوم مترجم للقبائلية في مقابله مترجم للعربية ، أكل هذا إنصاف للقبائلية[٤٢] وإكرام لأهلها ، واعتراف بحقها في الحياة ؟ كلا إنه تدجيل سياسي علىٰ طائفة من هذه الأمة ، ومكر استعماري ، بطائفة أخرىٰ ، وتفرقة شنيعة بينهما ، وسخرية عميقة بهما .... »[٤٣] .

ومما تقدم يتضح أن هذه اللغات واللهجات المتعددة اتخذت وسائل للتعبير عن أدب موحد يعبر به عن قضية هي قضية الجزائر .

طبيعة النقد الجزائري

إذا ما تأملنا طبيعة النقد الأدبي في الجزائر ، وجدنا أنه يتميز بسمات هي :

١ ــ ضعف النقد :

لقد كان النقد ضعيفاً ، وكان ضعفه سبباً مهماً في جمود الحركة الأدبية ، إذ لم يوجد ناقد متمكن يوجه الأدب شكلاً ومضموناً نحو مسار متطور ليصبح فناً له تأثير في ميادين الحياة .

وما وجد من نقد ــ في أغلبه ــ لا يزيد علىٰ كونه محاولات بسيطة تدور ــ أحياناً ــ حول نوع ما من أنواع الأدب ، لذلك لم تستطع هذه المحاولات أن تكشف أعماق الأدب سواء أكان شعراً أم نثراً .

فالمعارك النقدية التي حدثت لا تتعدىٰ الحديث عن الأسباب التي أدت إلىٰ تأخر الأدب ، دون أن تتعرض إلىٰ النتاج الأدبي بالتحليل والتأمل والتذوق والتقويم .

فنقد الشعر ــ مثلاً ــ كان عرضاً للقصائد والأفكار لا يتعدىٰ إلى التحليل والتقصي في التقليد والتجديد ــ في الصور والأفكار والمعاني ــ ثم ربط هذا الشعر في الجزائر ، وفي غيره من الأقطار العربية الأخرىٰ ــ خاصة في المشرق ــ لوضعه في المكانة التي يستحقها .

ونقد القصة لم يحظ أيضاً باهتمام يجعله يتلاءم وما وصلت إليه القصة من التطور لا سيما تلك التي كتبها قصاصون جزائريون بلغة فرنسية .

إن الباب الذي خصص في (صحيفة البصائر) تحت عنوان (النقد الأدبي) كان يتعرض للشعر دون بقية الفنون ، لذلك كانت محاولات النقاد في نقد القصة محصورة في أنهم : « ... كانوا يعبرون عن حاجة الأدب الجزائري إلىٰ هذا اللون من الأدب دون أن يكلفوا أنفسهم بالبحث عنه مع أنهم لو فعلوا ، لرسموا الطريق أمام كتاب القصة الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية .... »[٤٤] .

٢ ــ الفصل بين النقد التطبيقي والنظري :

إن جمود النقد في القطر الجزائري يتمثل في الانفصام ما بين الوعي بالنظريات النقدية ، وما بين تطبيقها فعلاً علىٰ النص المنقود فقد تكون للناقد كثير من الأفكار يقتنع بها ، فإذا أراد أن ينقد نصاً لم يطبق ما وعاه ، إما عجزاً منه في تطبيقه ، أو انحرافاً منه عما يحتويه النص كما قصد به مؤلفه بحيث يخترع الناقد تأويلات يتأولها ، تنحدر به الىٰ « .... التكلف في هذا النقد كما أدت ممارسته .. الىٰ خلط في المفاهيم وفي المصطلحات ، وغاب التقويم الحقيقي فلم يستفد الأدب كثيراً مما ينشر من نقد .... »[٤٥] .

ولو أن النقاد اهتموا بالجانب التطبيقي للأدب وحللوا النتاج الذي بين أيديهم ، لخرجوا بمقاييس منطقية معقولة ، تعبر عن خصب الأدب في الفترة الواقعة قبيل ثورة التحرير .

٣ – ندرة الناقد المتخصص ، وعدم توفر البيئة النقدية:

فقد كان غياب الناقد المتخصص عن بيئة النقد عاملاً مهماً في إحداث هوة بين الأدب وبين النقد دخل من خلالها في ميدان النقد كل من استطاع أن يسطر الكلمات في إحدىٰ الصحف ، فالصحافة الجزائرية إذن ساهمت إلىٰ حد كبير في تأخر النقد الأدبي ، ذلك لأنها لم تعن بالنقد العلمي الصحيح بقدر عنايتها بملء الفراغ الذي تريد أن تسوّد به صفحاتها ، لذلك لم تستطع اكتشاف الناقد البارع ، يضاف إلىٰ ذلك عدم توفر الظروف الملائمة للناقد ليؤدي وظيفته ، فالمناخ يتسم بالهدوء ، وقلة المتتبعين للحركة الأدبية ، وصعوبة النشر ، ذلك لأن الطباعة كانت علىٰ جانب كبير من المشقة .

٤ – السطحية في الأحكام :

إن الدارس لقضايا النقد الأدبي يلحظ دونما شك أن النقد في الجزائر يتسم بسذاجة الأحكام ، والتسرع في استخلاص النتائج ، فقد يحكم الناقد علىٰ نتاج شاعر من خلال نقده لقصيدة واحدة أو قصيدتين – كما مر معنا فيما تقدم – دونَ أن يكلف نفسه عناء الدرس الواعي ، يؤيدنا فيما نذهب إليه الدكتور محمد مصايف بنقده لأبي حسام قائلاً : « ... والملاحظة علىٰ موقف أبي حسام وأضرابه من شاعرية محمد العيد هي هذا التجريد في الأحكام ، أو هي – إن شئت – هذه السطحية التي تجعل صاحبها يتهيب الموضوع الذي يعالجه فلا يقترب منه إلاّ بطريق التلميح والإجمال والتقرير..»(٤٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهم المراجع

١ – الأدب الجزائري المعاصر .
الدكتورة سعاد محمد خضر – المكتبة العصرية – بيروت .

٢ – بذور الحياة .
رمضان حمود – تونس ١٩٢٨ م .

٣ – تطور النثر الجزائري الحديث (١٨٣٠ – ١٩٧٤ م)
الدكتور عبد الله ركيبي – دار نافع – الجزائر ١٩٧٦ م .

٤ – الثقافة – مجلة – وزارة الإعلام والثقافة – الجزائر . السنة العاشرة-العدد٥٥

٥ – دراسات في الأدب الجزائري الحديث .
أبو القاسم سعد الله – دار الآداب – ط ٢ – بيروت ١٩٧٧ م .

٦ – الشعر الجزائري : الدكتور صالح خرفي – مطابع الشروق – بيروت .

٧ – صفحات من الجزائر :
الدكتور صالح خرفي – مطابع الشركة الوطنية – الجزائر .

٨ – عيون البصائر .
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – دار المعارف – مصر ١٩٦٣ م .

٩ – فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث .
الدكتور محمد مصايف – مطابع الشركة الوطنية – الجزائر ١٩٧٢ م .

١٠ – قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر .
الدكتور عبد الله ركيبي – الدار العربية – ط ٣ – ليبيا وتونس ١٩٧٧ م .

١١ – القصة الجزائرية القصيرة :
الدكتور عبد الله خليفة ركيبي – الدار العربية – ط ٣ – ليبيا وتونس ١٩٧٧ م .

الهوامش

(١) ـ إنظر / ديوان ابن باديس ، وديوان البشير الإبراهيمي وديوان الأمير عبد القادر .

(٢) ـ انظر / ديوان ابن باديس .

(٣) ـ انظر / تطور النثر الجزائري ٢٤٠ و ٢٤٤ .

(٤) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٤١ .

(٥) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٦) ـ الصحيح : أن ينقدها نقداً .

(٧) ـ مجلة الشهاب ١٧ ديسمبر ١٩٢٥ م .

(٨) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٤٩ .

(٩) ـ مجلة النجاح ـ أغسطس ـ ١٩٢٤ م .

(١٠) ـ الأبيات الشعرية غير مستقيمة .

(١١) ـ دراسات في الأدب الجزائري الحديث ٨٥ ـ ٨٦ .

(١٢) ـ ملاحظة : النص ضعيف التركيب .

(١٣) ـ بسكرىٰ : مدينة في الجزائر ، كانت مكان مولد العالم ابن خلدون ، تقع علىٰ طرف الصحراء .

(١٤) ـ صفحات من الجزائر / ٢٦٦ .

(١٥) ـ صفحات من الجزائر / ٢٦٧ .

(١٦) ـ انظر / دراسات في الأدب الجزائري الحديث ٨٦ ـ ٨٧ .

(١٧) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٥٠ .

(١٨) ـ انظر / المجاهد الثقافي / العدد التاسع ـ المناقشة بين أبي حسام وفريدة النقاش .

(١٩) ـ انظر / صفحات من الجزائر ٢٥٤ ـ ٣٠٦ .

(٢٠) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث ٧ .

(٢١) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي ٧ مقالة كتبها الدكتور في ٥ / ١٠ / ١٩٦٨ .

(٢٢) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي الحديث / ١٠ .

(٢٣) ـ تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٥٣ .

(٢٤) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي الجزائري ٤٩ ـ ٨٤ .

(٢٥) ـ المصدر نفسه ٨٥ ـ ٩٥ .

(٢٦) ـ القصيدة نظمت عام ١٩٣٤ م وألقيت في الاحتفال السنوي لمدرسة الشبيبة الإسلامية في العاصمة (الجزائر) .

(٢٧) ـ انظر / فصول في النقد الجزائري الحديث ١٣ ـ ٢١ مقالة كتبت بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٦٨ م .

(٢٨) ـ انظر / فصول في النقد الجزائري الحديث ٥٠ ـ ٦٠ .

(٢٩) ـ المصدر نفسه ـ المقالة نفسها .

(٣٠) ـ صفحات من الجزائر ٢٥٣ ـ ٢٥٥ .

(٣١) ـ نفس المصدر ٢٥٣ ـ ٢٥٥ .

(٣٢) ـ انظر / قضايا عربية ١٤٦ .

(٣٣) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث / ٢٥٦ .

(٣٤) ـ انظر / بذور الحياة ١٠٥ .

(٣٥) ـ انظر / بذور الحياة ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٣٦) ـ انظر / الشعر الجزائري الحديث / ٣٥٧ .

(٣٧) ـ الشعر الجزائري / ٣٥٤ .

(٣٨) ـ انظر / القصة الجزائرية القصيرة ١٨ ـ ١٩ .

(٣٩) ـ انظر / مجلة الثقافة (المسرح العربي لمدينة الجزائر) ٢٧ ـ ٤٠ .

(٤٠) ـ انظر / القصة الجزائرية القصيرة / ١٩ .

(٤١) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث / ٦٧ .

(٤٢) ـ القبائلية : لهجة من لهجات اللغة البربرية في الجزائر .

(٤٣) ـ عيون البصائر / ٢٢٤ .

(٤٤) ـ انظر / القصة الجزائرية القصيرة/ ٤٧ .

(٤٥) ـ انظر / تطور النثر الجزائري الحديث ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٤٦) ـ انظر / فصول في النقد الأدبي / ٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المخطوطات

تعريف ابن القطان بمصادر الأحكام الصغرى

تحقيق : أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي في كتاب له نفيس جداً لم يطبع بعد ، اسمه (بيان الوهم والإيهام) معرفاً بالمصنفين الذين أخرج عنهم أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الصغرى :

أعلم أنه ليس كل من يطالع كتابه ويتعرف منه ماروي : يعرف كل من يعزو إليه ما يذكر من جميع ما فيه ، وإن اتفق لبعضهم أن يعرف المشاهير منهم كمالك والبخاري ، فإنه لا يعرف ابن سنجر ولا أبا سعيد الماليني وأشباههما ممن لا يعرفه إلا خواص أهل العلم بهذا الشأن .

فلهذا المعنى عقدنا هذا الباب نذكر فيه جميع من أخرج عنه من المصنفين ، لنخلص به من يقرأ كتابه من هجنة الجهل بمن يعزو إليه الحديث .

ولم نقصد ذكر أخبارهم ، لأن ذلك لو قصدناه طال ، فإن منهم من كثرت أخباره بحسب عظم قدره كمالك والبخاري مثلًا [......][(1)] .

فاقتصرنا على ذكر الاسم والكنية والبلد والنسبة [......][(2)] [٢ / ٢٤٧ / أ] الحال وربما لا يتفق لنا كل هذا في آحاد منهم .

وربما يكون أشهرهم وأعظمهم قدراً أقلهم حظاً من كلامنا فيه وتعريفنا به ، لاستغنائه عن ذلك ، ولتعذر ذكر الواجب من أخباره .

وبالعكس الذي نطيل فيه بعض الإطالة هو الذي احتاج من ذلك إلى ما لم يحتج إليه الآخر .

ولم نذكرهم على الحروف كما العادة في كتب الرجال لقلة عددهم .

ولا بحسب سبقهم إلى التصنيف وتقدم بعضهم على بعض في ذلك ، لأن ذلك ربما لا يتحصل كما ينبغي .

وإنما المتحصل منه : أن أول من صنف بالبلد الفلاني فلان وبالبلد الفلاني فلان وهذا لا معنى لذكرنا إياهم بحسبه ، فرأينا لهذا أن نذكرهم بحسب أزمانهم فلا تنكرن ابتداءنا بمن غيره أولى بالتقديم منه .

والله ولي التوفيق .

[١ ــ] أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار : مولى قيس بن مخرمة .

هو صاحب كتاب المغازي .

رأى أنس بن مالك .

والمتحصل من أمره الثقة والحفظ لا سيما للسير ، ولم يصح عليه قادح .

وتوفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومئة[٣] .

[٢ —] أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق ابن عدي الثوري (ثورمناة ، ويقال : ثور تميم.)[٤] .

والحسن بن صالح بن صالح بن حي الفقيه ثوري أيضاً ، ولكن إلى ثور همدان .

فأما أبو يعلى منذر الثوري فمن مناة ، وقيل فيه من ثور همدان .

ولد سفيان رحمه الله في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين .

ومات سنة إحدى وستين ومئة بالبصرة .

وهو أحد الأئمة المقدمين في الفقه والحديث ، وأحد المقدمين في الزهد والورع رضي الله عنه .

[٣ —] أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار الربعي مولى بني ربيعة بن مالك بن حنظلة .

ويقال : مولى تميم ، ويقال مولى قريش .

وهو ابن أخت حميد الطويل .

أحد الأثبات في الحديث ومتحقق بالفقه ومن أصحاب العربية الأول .

وكانت وفاته سنة سبع وستين [ومئة][٥] .

[٤ —] [أبو عبد الله][٦] مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي .

إمام الفقهاء (٢ / ٢٤٧ / ب) والمحدثين المبرز في علمهم ذو الفضل والعقل والحكمة .

توفي سنة تسع وسبعين ومئة بالمدينة وقد بلغ من السنين ستا وثمانين سنة .

[٥ —] أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن سهم بن مقسم الأسدي أسد خزيمة مولاهم ، وهو المعروف بابن علية ، وهي أمه .

بصري ثقة إمام في الفقه والحديث .

قال ابن حنبل وابن معين وأبو حاتم : مات سنة ثلاث وتسعين ومئة .

قال البخاري : وولد سنة عشر ومئة .

[٦ —] أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي ابن فرس الرؤاسي .

أصله من نيسابور ، وهو أحد الأئمة في الحديث .

مات سنة سبع وتسعين ومئة في رجوعه من الحج بفيد[٧] .

[٧ —] أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب مالك .

فقيه محدث إمام فيهما .

توفي سنة سبع وتسعين ومئة[٨] .

[٨ —] أبو محمد سفيان بن عيينة بن عمران الهلالي مولى بني عبد الله بن ربيعة بن هلال .

كوفي الأصل مكي الدار[٩] .

وكان بنو عيينة عشرة حدث منهم خمسة وهم : سفيان ، ومحمد وآدم وعمران وإبراهيم .

وكلهم — خراز .

وسفيان إمام أهل الحديث .

ولد سنة سبع ومئة ومات أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومئة .

[٩ —] أبو داود سليمان بن داود الطيالسي : مولى قريش .

أصله فارسي سكن البصرة .

يقال : إنه كان يحفظ ثلاثين ألف حديث .

وروي عنه أنه قال : كتبت عن شعبة ستة آلاف وسبع مئة .

وشرب البلاذر للحفظ فتجذم به .

والذي يقال في أوهامه إنما هو قليل في جنب كثيرِ محفوظِه ، .وهو ثقة لاشك فيه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال البخاري عن ابن المثنى : مات سنة ثلاث ومئتين[١٠] .

[١٠ ــ] أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع اليماني أخو عبد الوهاب بن همام . من أهل الحديث والفقه ثقة[١١] .

قال البخاري : مات سنة إحدى عشرة ومئتين .

[١١ ــ] أبو عبيد القاسم بن سَلام البغدادي[١٢] من أهل الفقه [والحديث والأدب ولي القضاء[١٣]] بطرسوس وخرج إلى مكة فسكنها سنة أربع وعشرين [ومئتين ولم يزل بها حتى مات][١٤] [٢ / ٢٤٨ / أ] في هذه السنة .

[١٢ ــ] أبو جعفر محمد بن الصباح البزاز بزاءين[١٥] البغدادي المعروف بالدولابي صاحب حديث ويسير فقه ثقة .

مات سنة سبع وعشرين ومئتين[١٦] .

[١٣ ــ] أسد بن موسى : المعروف بأسد السنة .

يقال : إنه كان أمويا وكان يكتم ذلك .

هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك .

يروي عن حماد بن سلمة وحماد بن زيد ونحوهما .

ولا أذكر ميقات وفاته[١٧] .

قال أبو العرب : قال أبو الحسن ــ يعني الكوفي ــ : أسد بن موسى ثقة .

[١٤ ــ] أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني :

يقال إنه من الطالقان سكن مكة ، ويقال : إنه جوزجاني ، وهو ممن سمع من مالك بن أنس وهو أحد الأثبات .

قال البخاري : مات سنة تسع وعشرين ومئتين أو نحوهما[١٨] .

[١٥ ــ] أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان العبسي :

وإبراهيم بن عثمان هو أبو شيبة الواسطي .

كوفي حافظ مقدم في ذلك .

وأخوه عثمان حافظ ثقة .

وأخوهما القاسم ضعيف .

توفي أبو بكر سنة خمس وثلاثين ومئتين[١٩] .

[١٦ ــ] أبو مروان عبد الملك بن حبيب :

أبو سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي .

سكن قرطبة وأصله من البيرة .. متحقق بحفظ مذهب مالك ونصرته والذب عنه .

لقي الكبار من أصحابه ، ولم يهد في الحديث لرشد ، ولا حصل منه على شيخ مفلح .

وقد اتهموه في سماعه من أسد بن موسى ، وادعى هو الإجازة .

ويقال : إن أسداً أنكر أن يكون أجازه .

وفاته سنة ثمان وثلاثين ومئتين[٢٠] .

[١٧ ــ] أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم :

ابن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه .

قيل له ذلك لأن أباه ولد في الطريق .

هو أحد الأئمة في الفقه والحديث .

توفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين وهو ابن سبع وسبعين سنة[٢١] .

[١٨ ــ] أبو السري هناد بن السري بن مصعب الدارمي الورّاق [الكوفي حديثه في صحيح][٢٢] مسلم وأبي داود .

ولا أذكر ميقات وفاته [٢ / ٢٤٨ / ب][٢٣] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[١٩ ــ] أبو محمد عبد بن حميد الكشي .

وكش بفتح الكاف قرية بالجبل على ثلاثة فراسخ من جرجان .

يقال : إن اسمه عبد الحميد وعبد لقب له .

وزعموا أن ما أتبع البخاري حديث ابن عمر في حنين الجذع من قوله : وزاد عبد الحميد : أنه عبد ابن حميد .

ولم يقع له ذكر عند البخاري في غير هذا الموضع .

فأما مسلم فأكثر عنه .

وهو يروي كثيراً عن عبد الرزاق ويعقوب بن إبراهيم ابن سعد وأبي عاصم وعثمان بن عمرو .

له كتاب المسند وكتاب التفسير وغيرهما .

يرويهما عنه إبراهيم بن خزيم بالزاي (هو الشاشي) .

ذكر ذلك الدارقطني في كتاب المؤتلف والمختلف ، ولا أذكر ميقات وفاته[٢٤] .

[٢٠ ــ] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن الأحنف الجعفي البخاري مولى سعيد ابن جعفر والي خراسان[٢٥] .

إمام أهل الحديث ذو الدين والفضل والزهد والورع .

أخباره أكثر من أن يتعرض لها .

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثنتى عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة .

ومات يوم الفطر سنة ست وخمسين ومئتين .

[٢١ ــ] محمد بن سنجر الجرجاني .

نزيل مصر أحد الأثبات المكثرين .

توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين[٢٦] .

[٢٢ ــ] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، إمام توفي عشية الأحد لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين[٢٧] .

[٢٣ ــ] أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو ابن مسلم المزني صاحب الشافعي .

إمام في الفقه من ساكني مصر وبها توفي سنة أربع وستين ومئتين ، وسنه سبع وثمانون[٢٨] .

[٢٤ ــ] عباس بن محمد الدوري صاحب ابن معين .

والدور موضع ببغداد وبسرَّ من رأى أيضاً .

كنيته أبو الفضل وهو ثقة إن شاء الله .

ولد سنة خمس وثمانين ومئة وتوفي سنة إحدى وسبعين ومئتين ، وسنه ثمان وثمانون سنة[٢٩] .

[٢٥ ــ] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق ابن بشير السجستاني من سجستان قرية [من قرى][٣٠] [٢ / ٢٤٩ / أ] البصرة .

إمام عصره توفي بالبصرة ليلة الجمعة لست عشرة خلت من شوال سنة خمس وسبعين ومئتين .

[٢٦ ــ] أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد من أهل قرطبة[٣١] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحد الأثبات المكثرين المتقدمين في الزهد والورع .

ولد سنة إحدى ومئتين ومات سنة ست وسبعين ومئتين .

[٢٧ ــ] أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب[٣٢] .

[٢٨ ــ] أبو عيسى بن سورة بن موسى بن الضحّاك السلمي الترمذي[٣٣] .

وترمذ بخراسان .

جهله بعض من لم يبحث عنه وهو أبو محمد بن حزم فقال في كتاب الفرائض من الإيصال إثر حديث أورده : إنه مجهول .

فأوجب ذلك في ذكره من تعيين من شهد له بالإمامة ما هو مُستغنى عنه بشاهد علمه وسائر شهرته .

فممن ذكره في حملة الأحاديث أبو الحسن الدار قطني وأبو عبد الله بن البيع .

وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي الحافظ في كتابه :

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحّاك الحافظ ثقة متفق عليه .

وممن ذكره أيضاً الأمير ابن ماكولا وابن الفرضي وأبو سليمان الخطابي .

وذكر وفاته جماعة منهم أبو محمد الرشاطي قال : إنه توفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين .

[٢٩ ـــ] أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي وثقه أحمد بن كامل .

وقال فيه الدار قطني صدوق .

مات ليلة عرفة سنة ثنتين وثمانين ومئتين وقد بلغ ستا وتسعين[٣٤] .

[٣٠ ـــ] أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة ابن زيد بن الحسن بن كلب بن أبي ثعلبة الخشني صاحب النبي ﷺ .

من أهل قرطبة رحل فأكثر السماع وجمع من علمي الحديث والغريب كثيراً وهما الغالب عليه .

ومات سنة ست وثمانين ومئتين وهو ابن ثمان وستين سنة[٣٥] .

[٣١ ـــ] علي بن عبد العزيز بن مروان البغوي .

وبغو بناحية خراسان .

لزم أبا عبيد بن سلام [وتاريخ وفاته][٣٦] هو سنة سبع وثمانين ومئتين .

[٣٢ ـــ] أبو بكر [٢ / ٢٤٩ / ب] أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري[٣٧] .

كان أحفظ الناس للحديث .

توفي بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومئتين .

[٣٣ ـــ] أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي صاحب الاختلاف .

ولم يكن مروزياً وإنما نسب إليها تلقيباً وهو نيسابوري .

وهو إمام في الفقه والحديث ، وتوفي بسمرقند سنة أربع وتسعين ومئتين ، وبها ألف كتابه الكبير وغلب عليه مذهب الشافعي[٣٨] .

[٣٤ ـــ] أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب الجرح والتعديل .

إمام من أئمة خراسان كثير التصنيف لا أذكر وقت وفاته[٣٩] .

[٣٥ ـــ] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ابن سنان النسائي إمام أهل الحديث .

توفي بالرملة سنة اثنتين وثلاث مئة[٤٠] .

[٣٦ ـــ] أبو يحيى زكريا بن يحيى بن داود الساجي ينسب إلى الساج وهو خشب أطول من النخيل وأكبر من شجر الجوز .

وهو بصري فقيه ومختلف فيه في الحديث ، وثقه قوم وضعفه آخرون .

وبالبصرة كانت [وفاته][٤١] سنة سبع وثلاث مئة .

[٣٧ ـــ] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من أهل طبرستان .

إمام في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ مات ببغداد سنة عشر وثلاث مئة[٤٢] .

[٣٨ ـــ] أبو بكر بن أبي داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن .

قد تقدم كلامهم فيه في هذا الكتاب ولا ريب في حفظه وإكثاره .

وكانت وفاته سنة ست عشرة وثلاث مئة وهو ابن

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

سبع وثمانين سنة(٤٣) .

[٣٩ ـــ] أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري .

فقيه محدث ثقة ولا يلتفت إلى كلام العقيلي فيه .

وفاته سنة ثمان عشرة وثلاث مئة(٤٤) .

[٤٠ ـــ] أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم أزدي حجري ينسب إلى طاحية بن سود بن الحجر .

قال الهمداني : وطاحية ينسب إليها هكذا : طحاوي .

وقال غيره : إنما ينسب إلى قرية بمصر يقال لها طحا .

مقدم في الفقه والحديث(٤٥) .

وفاته سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وولد سنة تسع وثلاثين [٢ / ٢٥٠ / أ] .

[٤١ ـــ] محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن مدرك العقيلي .

مكي ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ .

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة(٤٦) .

[٤٢ ـــ] أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن ابن فرج من أهل قرطبة .

كان فقيها محدثاً مقدماً في العلمين وألف(٤٧) على تراجم كتاب السنن لأبي داود ، لأنه رحل إليه ففاته .

ومات سنة ثلاثين وثلاث مئة .

[٤٣ ـــ] أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء مولى أمير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك(٤٨) .

يعرف بالبياني .

سمع من أئمة بالمشرق والأندلس وتحقق بعلم الحديث ، وكان أحد الحفاظ المتقنين .

ولد سنة سبع وأربعين ومئتين وتوفي سنة أربعين وثلاث مئة .

[٤٤ ـــ] أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر ابن أحمد بن يحيى المعروف بابن الأعرابي .

ثقة جليل القدر كثير التأليف ، ولم يعبه أخذ البرطيل على السماع .

سكن مكة .

ولد يوم النحر سنة خمس وأربعين ومئتين ، وتوفي سنة أربعين وثلاث مئة(٤٩) .

[٤٥ ـــ] أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ الجرجاني أحد الأئمة .

وكتابه الكامل واف بغرضه .

وفي سنة أربع وستين وثلاث مئة قرأ عليه الماليني كتابه .

ولا أذكر وقت وفاته(٥٠) .

[٤٦ ـــ] أبو الحسن علي الدارقطني .

منسوب إلى دار القطن محلة من محال بغداد ، وهو الحافظ الإمام بلا مدافعة .

ولد سنة ست وثلاث مئة ومات سنة خمس وثمانين وثلاث مئة(٥١) .

[٤٧ ـــ] أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن المصري الحافظ .

لا أذكر الآن وقت وفاته ، ولا أعرف أن أبا محمد نقل من كتابه في السنن شيئاً ، لكن من كتاب الحروف في الصحابة(٥٢) .

[٤٨ ـــ] أبو محمد الأصيلي ، وهو عبد الله ابن إبراهيم .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

أصله من شزونة وينسب إلى أصيلة مدينة دثرت كانت قريباً من بلد طنجة[٥٣] .

ويقال فيه أزيلي ، ويقال بين اللفظين .

ألقى الرحال بالشرق وتحقق بالفقه والحديث .

وتوفي [بقرطبة في زمن المنصور][٥٤] بن أبي عامر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة ودفن بمقبرة [٢٥٠ / ب] الرصافة .

[٤٩ ـ] أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن الخليل[٥٥] . الماليني راوي كتاب أبي أحمد بن عدي ، وقد تقدم ذكره مما يغني عن إعادته[٥٦] .

[٥٠ ـ] أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي منسوب إلى جده .

صاحب فقه وحديث ومعان وغريب شعر هو به مذكور في اليتيمة ، ولا أعرف الآن ميقات وفاته[٥٧] .

[٥١ ـ] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع الحاكم الحافظ نيسابوري .

لا أذكر وفاته وله كتب كثيرة وقد نسب إلى غفلة[٥٨] .

[٥٢ ـ] القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي البصري .

سمع عليه كتابه في الفوائد بمكة شرفها الله .

ولا أذكر ميقات وفاته[٥٩] .

[٥٣ ـ] أبو أحمد الحاكم صاحب كتاب الكنى لا أعرفه[٦٠] .

[٥٤ ـ] أبو عمر يوسف بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي .

فقيه حافظ محدث متقن عالم بالخلاف والآداب قديم السماع كثيره .

مولده في رجب سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ، وتوفي سنة ستين ، وقيل سنة ثلاث وستين وأربع مئة[٦١] .

[٥٥ ـ] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الحافظ الفقيه على مذهب أهل الظاهر .

برع في الفقه والحديث والتاريخ والآداب .

وهو من بيت وزارة[٦٢] ووزر بنفسه لبعض ملوك الأندلس ثم تخلى لطلب العلم والانفراد له .

ومولده آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة .

ومات سنة ست وخمسين وأربع مئة[٦٣] .

هؤلاء هم الذين ذكر أبو محمد عنهم في كتابه ما ذكر ، إلا أن منهم من لم ير له كتاباً ، وإنما نقل ما نقل عنهم من عند من ذكره عنهم فعزاه هو إليهم .

وقد كان الأكمل أن لا يفعل ، وإن كان قد بين ذلك في بعضهم .

وهؤلاء الذين لم ير كتبهم هم حماد بن سلمة ووكيع وأبو سعيد بن الأعرابي . [وإسحاق والدوري وقاسم بن][٦٤] أصبغ والخشني وابن أيمن وسعيد بن منصور وابن [حبيب][٦٥] .

[ويروي عن حماد][٦٦] [٢ / ٢٥١ / أ] وإسحاق وابن حبيب والدوري وسعيد بن منصور وابن الأعرابي ووكيع وابن أيمن بوساطة ابن حزم .

وعن قاسم تارة بوساطته وتارة بوساطة ابن مدير عن ابن الطلاع عنه[٦٧] .

وكذلك ما نقل عن أبي سعد الماليني قد صرح بمن أخبره عن كتابه .

فاعلم ذلك والله الموفق .

قال أبو عبد الرحمن : وثمة مصادر يدل ابن القطان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالرجوع إليها معرضاً بأن أبا محمد عبد الحق لم يطلع عليها ، مع أن بعضها من مصادر عبد الحق في كتبه الأخرى .

وبعضها صرح بأنه مصدر مشترك بينهما .

ومن هذه المصادر على الإجمال :

شريعة المقارىء لأبي بكر بن أبي داود[٦٨] ، وكتاب محمد بن الجارود[٦٩] والعلل للذهلي[٧٠] وكتب الرشاطي وأبي يعلى عبد الله بن أحمد الخليلي وابن ماكولا ، واليتيمة للثعالبي[٧١] ، ورجال البخاري لأبي الوليد الباجي[٧٢] ، وتاريخ المصريين لأبي سعيد ابن يونس[٧٣] ، وكتاب أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي[٧٤] وكتاب ابن خلاد الرامهرمزي[٧٥] وفضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام[٧٦] .

وكتاب ابن الفرضي – ولعله المؤتلف والمختلف[٧٧] – وغريب الحديث للحربي[٧٨] ومسند حديث مالك في الموطأ للجوهري[٧٩] ، وفوائد أبي بكر الأصيلي ، والإقناع لابن المنذر[٨٠] والجمع والتفريق في أوهام البخاري للخطيب البغدادي[٨١] وتاريخ بغداد له[٨٢] وتلخيص المتشابه له[٨٣] وذكر ابن القطان أن عبد الحق لم يطلع على تفسير يحيى بن سلام وإنما نقل عنه بواسطة ابن عبد البر[٨٤] .

ومن المصادر التي ذكرها أيضاً إيضاح المشكل لعبد الغني بن سعيد،والكُنى المجردة لابن أبي حاتم ، وبيان المشكل للطحاوي ، وكتاب ابن عبد الحكم .

قال أبو عبد الرحمن : مصادر عبد الحق حافلة ، وفيها كفاية للعالم المؤهل للاجتهاد ، ولم يرد أبو محمد التكثر بالمصادر ، ولعل في تتبع مصادر عبد الحق – خلال تحقيقي لكتبه في الأحكام – ما يصحح بعض ما أطلقه ابن القطان .

وقد جربت أن العالم يكون لديه المصدر فلا يرجع إليه مباشرة إلا عند الحاجة القصوى ، وقد يغيب عنه مصدره بعض الأحيان ، فلا يدل عدم رجوعه المباشر في بعض المواضع على أنه لم يره .

أما ما هو دليل ابن القطان على أن عبد الحق لم يرجع لذلك المصدر إلا بواسطة فلان فقد أقامه ابن القطان بأمثلة منها هذا المثال :

قال أبو الحسن بن القطان عن أبي محمد عبد الحق :

وذكر أيضاً من طريق قاسم بن أصبغ : عن ابن عباس .

قال : لما ولدت مارية إبراهيم قال رسول الله ﷺ : أعتقها ولدها .

ثم قال [أي عبد الحق] : في إسناد هذا الحديث : محمد بن مصعب [١ / ٢٦ نسخة ب] القرقساني وهو ضعيف . كانت فيه غفلة ، وأحسن ما سمعت فيه من أقوال[٨٥] المتقدمين : صدوق لا بأس به .

وبعض المتأخرين يوثقه .

هكذا ذكره وهو عين الخطأ ، وليس لمحمد بن مصعب في إسناد هذا الحديث ذكر ألبتة .

وقد رأيته كتبه بخطه في كتابه الكبير بسنده فقال :

نا القرشي : نا شريح : نا علي بن أحمد – يعني ابن حزم – :

نا يوسف بن عبد الله [يعني ابن عبد البر] : نا عبد الوارث بن سعيد : نا قاسم بن أصبغ : نا مصعب بن محمد : نا عبيد الله بن عمر – هو الرقي – : عن عبد الكريم الجزري : عن عكرمة : عن ابن عباس ... فذكره .

هكذا كتبه بخطه ، وفيه من التخليط ما أبينه :

أول ذلك : قوله : عبد الوارث بن سعيد ، وإنما هو

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن سفيان الملقب بالحبيب ، هو مختص بقاسم ، وهو آخر ثقات شيوخ أبي عمر بن عبد البر .

وأما عبد الوارث بن سعيد التنوري[٨٦] : فليس هكذا مكانه والأمر فيه بين .

إنما سبقه القلم إلى الخطأ باسم يحفظه .

وأما قوله : (**أخبرنا مصعب بن محمد**) : **فهو عكس** هذا الذي في هذا الكتاب .

وأظنه تخليطاً كان في كتاب ابن حزم ، أو قد علم عليه بعلامة[٨٧] التقديم والتأخير فلم يعلم هو بها .

وكتب هنا (محمد بن مصعب) ، وفسره بالقرقساني ، وكتب عليه حكمة ، واستوى ما كتب عليه في الموضعين من كونه ذا غفلة .

وكان هذا كله خطأ [١ / ٢١ / نسخة أ] ، وكان ما في هذا الكتاب أقرب إلى تبيين الصواب ، وذلك أن الحديث في كتاب قاسم إنما هو هكذا :

أنا محمد : عن مصعب .

فمحمد هو ابن وضّاح ، ومصعب هو ابن سعيد أبو خيثمة المصيصي ، والأمر في ذلك بيِّن [.... إلخ] .

وأبو محمد لا ينقل من كتب قاسم إلا بواسطة ، فإنه لم يرها ، وقد بيّنت ذلك في الباب الذي ذكر فيه جميع من أخرج عنه علم هذا الكتاب [١ / ٢١ / ب نسخة أ ... إلخ] . و[١ / ٢٧ نسخة ب ..... إلخ] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

(١) في الأصل مكان كلمتين ممحوتين .

(٢) ما بين القوسين ممحو في الأصل وهو مقدار أربع كلمات .

(٣) إنما يعرف الناس اليوم السيرة من خلال تهذيب ابن هشام ، وقد حقق قطعاً منها محمد حميد الله وطبعت سنة ١٣٩٦ هـ .

وتداول الأسلاف روايتها في فهارسهم .

وعرفها أهل الأندلس من طريق ابن العربي بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق .

وانظر عن آثاره تاريخ التراث ١ / ٤٦١ ـ ٤٦٣ .

(٤) طبع من كتبه التفسير ، وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ٢ / ٢٢٤ .

ومن آثاره المفقودة التي رواها المغاربة الآداب والجامع .

انظر فهرسة ابن خير ص ٢٧٥ وص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

وجمع الدولابي حديثه وسماه مسند سفيان .

انظر برنامج الوادي آشي ص ٢٠٥ وقد رجع إليه ابن القطان كما في بيان الوهم ٢ / ٥ / ب .

(٥) ما بين القوسين المعكوفين ممحو في الأصل .

لم يصل إلينا شيء من آثاره .

له المصنف في الحديث والفقه ، وانظر الأسانيد إليه في فهرسة ابن خير ص ١٣٤ .

(٦) ما بين القوسين ممحو في الأصل .

وانظر عن آثار مالك غير الموطأ تاريخ التراث العربي ٢ / ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٧) انظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ١٤١ وانظر أسانيد المغاربة إلى مصنفه في فهرسة ابن خير ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٨) انظر عن آثاره المطبوعة والخطية تاريخ التراث العربي ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٩) انظر عن آثاره الموجودة تاريخ التراث العربي ١ / ١٤٠ وانظر إسناد المغاربة إلى مصنفه في فهرسة ابن خير ص ١٣٤ ـ ١٣٥ وإلى جزئه في برنامج الوادي آشي ص ٢٤٥ .

(١٠) له المسند وهو مطبوع .

(١١) طبع له المصنف مبتور الأول ـ وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ١٤٥ .

وقد عرفت بمؤلفاته تعريفاً شافياً بمجلة الفيصل .

(١٢) طبع له الغريب والأموال والأمثال .

(١٣) ما بين القوسين ممحو في الأصل وأثبته اجتهاداً من تهذيب الكمال للمزي استئناسا بسياق المؤلف .

(١٤) ما بين القوسين أثبته اجتهاداً .

(١٥) في الأصل : بزأيين .

(١٦) لم يصل إلينا شيء من كتبه .   ذكر المزي من كتبه السنن الصغيرة .

(١٧) توفي في شهر محرم سنة اثنتي عشرة ومئتين .

لم يصل إلينا شيء من مصنفاته وقد روى ابن خير منها رسالته إلى أسد بن الفرات وكتاب الزهد والعبادة والورع ، والمسند .

انظر فهرسة ابن خير ص ١٤١ و ٢٧٠ و ٢٩٩ .

(١٨) طبع جزء من كتابه السنن ، وراجع عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١٩) طبع كتابه المصنف في حيدر آباد الدكن .

وراجع عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ١٦١ ـ ١٦٢ .

وقد رجع ابن القطان إلى مسنده ومصنفه . انظر بيان الوهم ١ / ٥٦ / ب .

قال أبو عبد الرحمن : وعندي صورة من مسنده ، ولم يفرق سزكين بين المصنف والمسند .

(٢٠) انظر عن آثار ابن حبيب الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٥٨٧ و ٢ / ١٣٨ .

(٢١) لم يصل إلينا من آثاره سوى قطعة خطية من مسنده .

(٢٢) ما بين القوسين أثبته اجتهاداً .

(٢٣) توفي سنة ٢٤٣ هـ . وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ١٦٦ .

(٢٤) توفي سنة ٢٤٩ وصل إلينا قطع من مسنده ومن منتخبه ، وانظر تاريخ التراث العربي ١ / ١٧٠ .

(٢٥) طبع صحيحه وتاريخاه الكبير والصغير وكتاب الضعفاء الصغير وكتاب الكنى ، والأدب المفرد ، ورفع اليدين في الصلاة ، والقراءة خلف الإمام ، وخلق أفعال العباد .

وعن آثاره الخطية الأخرى راجع تاريخ التراث العربي ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

قال أبو عبد الرحمن : حدثني شيخي أبو تراب الظاهري في مجلس شيخنا حمد الجاسر أن مسند البخاري يوجد في إحدى مكتبات روسيا .

(٢٦) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مسجر لم يصل إلينا شيء من كتبه .

روى له ابن خير في الفهرسة ص ١٤٢ كتابي المسند والعين .

(٢٧) طبع له الصحيح والوحدان وقطعة من التمييز وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٢٢٢ ، والتمييز من مصادر ابن القطان كما في بيان الوهم ١ / ٤٦ / ب .

(٢٨) طبع له المختصر وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ٢ / ١٧٩ ـ ١٨١ .

(٢٩) من رواة التاريخ لابن معين وقد طبع .

(٣٠) ما بين القوسين أثبته اجتهاداً .

طبع له السنن ، والمراسيل ، ورسالة في وصف تأليفه لكتاب السنن ، ومسائل الإمام أحمد ، وعن آثاره الخطية انظر تاريخ التراث العربي ١ / ٢٣٨ .

(٣١) عن آثاره الخطية راجع تاريخ التراث العربي ١ / ٢٣٩ .

قال أبو عبد الرحمن : حدثني شيخي أبو تراب في مجلس شيخنا حمد الجاسر أن مسنده بقي في سبعين جزءاً يوجد في ألمانيا . ثم حدثني الدكتور عبد الله الجبوري أن هذا لا يستبعد بتجزئة الأصل الصغيرة ، وأن منه صورة في ثلاث مجلدات عند أحد علماء الشام ، وقد نسيت اسمه .

(٣٢) ولد سنة ١٨٥ هـ وتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

انظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٥١٢ ـ ٥١٣ ولم يذكر من آثاره الخطية كتابه الحافل (تاريخ رواة الحديث) وهو من أهم مصادر الذهبي وابن حجر في الجرح والتعديل ، ولعله المذكور في المصادر بعنوان تاريخ ابن أبي خيثمة ، والتاريخ الكبير فإن كان هو فقد ذكر سزكين منه عشر ورقات في القرويين بفاس برقم ٢٤٤ .

قال أبو عبد الرحمن : الموجود لدي بهذا الرقم الجزء الثالث من تاريخ رواة الحديث في ١٩٩ ورقة مقاس ٥ / ١٨ × ٢٥ سم كل صفحة ٢٥ سطراً .

(٣٣) طبع له السنن والشمائل والعلل .

(٣٤) عن آثاره الخطية راجع تاريخ التراث العربي ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٣٥) لم يصل إلينا شيء من آثاره وقد أكثر الرواية عن كتبه ابن حزم وابن عبد البر . وتجد الأسانيد إلى مؤلفاته في فهرسة ابن خير .

(٣٦) ما بين القوسين أثبته اجتهاداً .

له المسند المنتخب ويسمى المسند الكبير لم يصل إلينا من مصنفاته سوى قطعة تتضمن أحاديث بالمكتبة الظاهرية .

والمنتخب من مصادر ابن القطان كما في بيان الوهم ١ / ٧٨ / ب .

(٣٧) عن آثاره الخطية انظر تاريخ التراث العربي ١ / ٢٥٧ ولم يصل إلينا من مسنده غير الجزء الأول ، وطبعت زوائد البزار للهيثمي .

وحدثني شيخي أبو تراب الظاهري أن فوائد البزار توجد مخطوطة بمكة المكرمة .

قال أبو عبد الرحمن : أحد شيوخ البقاعي اسمه عبد الله بن إبراهيم البزار له كتاب اسمه فوائد البزار كما في كشف الظنون ٢ / ١٢٩٦ .

ويظهر من سياق لابن القطان في بيان الوهم ١ / ٥٦ / أ أنه لم يطلع على غير المسند ، ونص عبد الحق على إطلاعه على أمالي البزار ، انظر بيان الوهم ١ / ٥٥ / ب .

(٣٨) انظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ٢ / ١٨٢ وقد طبع له كتاب السنة ومختصر كتبه الثلاثة قيام الليل ، وقيام رمضان ، والوتر .

قال أبو عبد الرحمن : وعلمت أنه طبع كتابه الصلاة بدمشق ، وعلمت أن الشيخ أحمد صقر أنهى تحقيقه منذ مدة ولم يطبعه بعد أخبرني بذلك شخصياً في شهر ذي القعدة عام ١٤٠٠ هـ بمنزل الشيخ أبي تراب الظاهري في جدة بحضور الشيخ محمد حسين زيدان .

(٣٩) توفي سنة ٣٢٧ هـ .

طبع له الجرح والتعديل ، وعلل الحديث ، والمراسيل ، وآداب الشافعي ، وبيان خطأ البخاري في تاريخه .

وعن آثاره الخطية انظر تاريخ التراث العربي ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤٠) طبع له السنن الصغرى ، والخصائص في فضل علي رضي الله عنه ، وكتاب الضعفاء والمتروكين ، وسمعت من الشيخ فتحي الباكستاني أنه طبع الجزء الأول من سننه الكبرى وكنت أظنه مفقوداً .
وطبع له أيضاً تسمية فقهاء الأمصار ، والطبقات ، وتسمية من لم يروعنه غير رجل واحد .
وعن آثاره الخطية راجع تاريخ التراث العربي ١ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٤١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .
ولم يصل إلينا شيء من مؤلفاته .

(٤٢) طبع تاريخه ، وتفسيره ، وكتابه في اختلاف الفقهاء ، وقطعة من كتابه تهذيب الآثار ، وصريح السنة .
وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

(٤٣) اسمه عبد الله وقد طبع له منظومة في العقيدة ، وكتاب المصاحف ، وكتاب البعث والنشور .
وعن آثاره الخطية راجع تاريخ التراث العربي ١ / ٢٨٠ .

(٤٤) انظر عن آثاره تاريخ التراث العربي ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥ وفي العدد الرابع من أخبار التراث العربي محرم سنة ١٤٠٣ هـ ص ٣٤ خبر عن إنهاء تحقيق أقسام من كتابه الأوسط ، وطبع قسم من كتابه في الإجماع .

(٤٥) طبع له معاني الآثار ، وبيان مشكل الآثار ، وكتاب الشروط الكبير ، وكتاب الشروط الصغير ، والمختصر في الفقه والطحاوية في العقيدة .
وانظر عن الآثار تاريخ التراث العربي ٢ / ٨٦ ـ ٩٣ .

(٤٦) لم يطبع من كتبه شيء وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٢٨٥ .

(٤٧) في الأصل : واللقا .
وانظر رواية هذا الكتاب لدى المغاربة في فهرسة ابن خير ص ١٢٤ .

(٤٨) لم يصل إلينا شيء من مؤلفاته والأسانيد إلى كتبه تجدها في فهرسة ابن خير .

(٤٩) من فقهاء الظاهرية وصل إلينا من كتبه المعجم وبعض الأجزاء .

(٥٠) توفي سنة ٣٦٥ يعرف بابن القطان .
انظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٣٢٣ وله الانتصار على مختصر المزني .
وقد حدثني الدكتور عبد الله الجبوري أن كتابه الكامل مطبوع .
قال أبو عبد الرحمن : لم أطلع عليه بعد .

(٥١) طبع له السنن والالزامات والتتبع وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٣٣٨ ـ ٣٤٣ .
وقد رجع ابن القطان إلى كتابه العلل كما في بيان الوهم ١ / ٧٥ / أ ولديه عدة نسخ من السنن ، وقد ذكر أن عبد الحق أكثر الناس نقلا عن السنن ـ انظر بيان الوهم ١ / ٨٤ / ب و ١ / ٢٠ / ب .
وقال : لا أعلم أن عبد الحق نقل عن الدارقطني من غير السنن والعلل والمؤتلف والمختلف .
انظر بيان الوهم ١ / ٦٠ / أ . وقال عن غرائب حديث مالك : إنما هو عنده من كتيب لأبي علي الصدفي في كتيب فيه عواليه ، وهو عندي من رواية أبي الحكم عنه وأحال إلى الكتاب الكبير لعبد الحق ـ انظر بيان الوهم ١ / ٨٠ / أ .

(٥٢) توفي سنة ٣٥٣ وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٣٠٦ .

وقد رجع ابن القطان لسنن والصحابة كما في بيان الوهم ١/ ١٠ / أ و ١٠١ / ب .

(٥٣) لم يصل إلينا شيء من مؤلفاته ، وقد ذكروا منها كتاباً على موطأ مالك سماه الدلائل ذكر فيه خلاف الفقهاء الثلاثة ، ونوادر حديث في خمسة أجزاء ، وذكر له ابن خير في الفهرسة ص ٢٧٠ كتاب المواعيد .
ترجمته في تاريخ رواة العلم لابن الفرضي ١ / ٢٩٠ ـ ٢٩١ وجذوة المقتبس ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٥٤) ما بين القوسين أثبته اجتهاداً لأن مكانه بياض في الأصل بسبب المحو .

(٥٥) هكذا في الأصل معدلة عن (الخليلي) والذي في المصادر ابن حفص .

(٥٦) توفي سنة ٤١٢ هـ وصل إلينا كتابه : كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية .
انظر تاريخ التراث العربي ٢ / ٣ / ٥٠٣ .

(٥٧) توفي سنة ٣٨٨ هـ طبع له إصلاح غلط المحدثين ، والعزلة ، ومعالم السنن ، وبيان إعجاز القرآن .
انظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .
وقد صرح عبد الحق بأنه لم يطلع على كتاب المؤتلف والمختلف لأبي سعد ، وروى حديثاً أخبره بوجوده في هذا الكتاب الفقيه أبو حميد السماني ـ انظر بيان الوهم ١ / ٥١ / ب و ١ / ٢٤١ / أ .

(٥٨) توفي سنة ٤٠٤ هـ وطبع له المستدرك ، والمدخل إلى معرفة الاكليل ـ ومعرفة علوم الحديث ، وانظر عن آثاره الخطية تاريخ التراث العربي ١ / ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .

(٥٩) فوائد ابن صخر من مصادر عبد الحق وابن القطان معاً ، انظر بيان الوهم ١ / ٨٢ / ب ذكر سزكين من آثاره الخطية الأخبار والحكايات والنوادر ١ / ٣٣١ وذكر أنه حي سنة ٣٧٧ هـ ، وذكر ابن خير فوائده وسماه القاضي أبا الحسن محمد بن علي محمد بن عبد الله بن صخر الأزدي البصري . فهرسة ابن خير ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
ثم وجدت ترجمته في العقد الثمين ٢ / ١٥٥ ـ ١٥٦ والوافي ٤ / ١٢٩ ـ ١٣٠ وقد أرخا وفاته سنة ٤٤٣ هـ .

(٦٠) هو الحاكم الكبير أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري توفي سنة ٣٧٨ هـ ، وقد رجع ابن القطان لكتابه في الكُنى كما في بيان الوهم ٢ / ٢١٢ / ب .
انظر عن نسخ كتابه الكُنى تاريخ التراث العربي ١ / ٣٣٢ .

(٦١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد .
طبع من كتابه التمهيد ستة أجزاء ، وطبع له الاستيعاب ، والكافي ، والإنصاف ، ونزهة المجالس ، والتجريد ، والجامع ، والقصد والأمم ، والإنباه ، والدرر .
وله آثار خطية حسان لم تطبع بعد .
ورسالته (المؤاخاة) ضمن رسائل حققتها وناولتها أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجد منذ سنوات ولا أدري ماذا فعل الله بها .
رجع ابن القطان إلى الاستغناء ، وفضل العلم .
انظر بيان الوهم ٢ / ١١٢ / ب و ١٧٦ / أ و ١ / ٨٢ .

(٦٢) (وزارة) وردت في الأصل مكررة .

(٦٣) عرفت بآثاره المفقودة والمطبوعة والمخطوطة في كتابي أقوال المؤرخين في ابن حزم خلال ألف عام ، وقد نجز منه أربعة أسفار وطبع سفران .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تابع هوامش ابن القطان

(٦٤) ما بين القوسين ممحو في الأصل ، وقد أثبته اجتهاداً بدليل سياقه اللاحق ، وبدليل لفتات متفرقة في بيان الوهم .

(٦٥) مابين القوسين أثبته اجتهاداً بدلالة السياق .

(٦٦) مابين القوسين أثبته اجتهاداً بدلالة السياق .

(٦٧) قال ابن القطان في بيان الوهم ١/٨٣/أ : وما يرويه أبو محمد عبد الحق عن قاسم ابن أصبغ أو ابن أيمن إنما هو بتوسط ابن حزم أو ابن عبد البر أو ابن الطلاع .

(٦٨) بيان الوهم ٢/١١٠/أ .

(٦٩) بيان الوهم ٢/١١٢/أ وذكر في ١/١٢٥/أ كتابه الكُنى .

(٧٠) بيان الوهم ١/٧٥/أ .

(٧١) بيان الوهم ٢/٢٤٩/ب و ٢٥١/أ .

(٧٢) بيان الوهم ٢/١٦٥/ب .

(٧٣) بيان الوهم ١/١٩٤/ب .

(٧٤) بيان الوهم ٢/٥٦/أ .

(٧٥) بيان الوهم ٢/٧٥/أ .

(٧٦) بيان الوهم ٢/١٠٢/أ .

(٧٧) بيان الوهم ٢/١٠٧/أ .

(٧٨) بيان الوهم ١/٦٩/ب .

(٧٩) بيان الوهم ١/٨٠/أ .

(٨٠) بيان الوهم ١/٨٤/أ .

(٨١) بيان الوهم ٢/١٢٠/أ و١/٢١٥/أ .

(٨٢) بيان الوهم ١/١٠/أ و١٠١/ب .

(٨٣) بيان الوهم ٢/١٠٧/أ و١٤٩/ب .

(٨٤) بيان الوهم ١/٥٦/أ ومختصره لابن أبي زمنين جزء ضخم كما في فهرس مخطوطات خزانة القرويين ١/٧٦-٧٧ .

(٨٥) في (ب) : قول .

(٨٦) في (أ) الثوري .

قال أبو عبد الرحمن : هذا لم يدركه ابن عبد البر وبينهما أزيد من قرنين .

(٨٧) في (أ) بعلامته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توجد أعداد مجلدة محدودة من مجلة
(عـــالم الكـــتب)

لمزيد من المعلومات ، الاتصـــال بالادارة

هاتف ٤٧٨٦٥٣٢ ص . ب ١٥٩٠ الرياض

شرحا ابن خالويه وابن هشام اللخمي

على مقصورة ابن دريد

حاتم صالح الضامن

مقصورة ابن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ والتي مطلعها عند ابن خالويه والتبريزي والجواليقي والصاغاني وابن جماعة :

إمّا تَرَيْ رأسي حاكَي لونُهُ
طُرَّةَ صبح تحت أذيال الدُّجى

ومطلعها عند الزمخشري وابن هشام اللخمي .

يا ظبيةً أشْبه شيءٍ بالمها
تَرْعى الخُزامى بينَ أشجارِ النَّقا

من القصائد المشهورة ، شرحها كثيرون ، وطبع قسم من هذه الشروح كشرح التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ هـ وشرح الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨ هـ ومازال قسم من هذه الشروح مخطوطاً .

ومن أوسع هذه الشروح وأغزرها مادة شرحا ابن خالويه وابن هشام اللخمي وهما موضوع بحثنا .

أولًا ـ شرح ابن خالويه

ابن خالويه الحسين بن أحمد المتوفي سنة ٣٧٠ هـ من علماء اللغة المشهورين ، له مؤلفات كثيرة طبع منها :

١) اعراب ثلاثين سورة من القرآن .
٢) الألفات .
٣) الحجة في القراءات السبع .
٤) رسالة في أسماء الريح .
٥) شرح ديوان أبي فراس الحمداني .
٦) ليس في كلام العرب .
٧) مختصر في شواذ القرآن .

ومن كتبه التي لم تطبع بعد (شرح مقصورة ابن دريد) . ولهذا الشرح أهمية كبيرة لأنه من أقدم الشروح أولاً ولأنّ المؤلف قرأ القصيدة على شيخه ابن دريد صاحب المقصورة فجاءت موثقة ثانياً .

ويتلخص منهج ابن خالويه في شرحه للمقصورة في النقاط الآتية :

١) اتبع منهجاً واحداً في شرح أبيات المقصورة ، فقد تناول كل بيت فشرحه وبين غريبه مستشهداً على ذلك بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة والأمثال والأشعار . قال في شرح البيت الثاني :

(واشتعلَ المُبْيَضُّ في مُسْوَدِّهِ
مثل اشتعالِ النارِ في جَزْلِ الغَضَا)

اشتعل : فشا الشيب في رأسه بسرعة كما تشتعل النار في الحطب الجزل ، وهو الكثير الغليظ . يقال : أجزل له العطيّة ، أي أعظمها ، وجزله جزلتين ، أي قطعه قطعتين ، والغضا : ضرب من الشجر ، حسن النار ، وكذلك العرفج . والغضا : تكتبه بالألف ، وجمعه : غضوات ، قال اللّه تعالى : «واشتعل الرأس شيبا» ، وتقديره : اشتعل الشيب في رأسه . والعرب تجعل المفعول فاعلًا ، والفاعل مفعولًا ، فيما لا يشكل ، يقولون : أدخلت القلنسوة في رأسي ، وإنّما هو : أدخلت الرأس في القلنسوة ، وعرضت الناقة على الحوض ، وإنّما يعرض الحوض على الناقة ، و « عيشة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

راضية» ، وإنّما هي مرضية ، و «ماء دافق» ، وإنّما هو مدفوق ، «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» ، أي ساتراً عن عيون الآدميين ، وقال الشاعر :

ولا يَبِيتُ الموماة أركبها
إذا تجاوبت الأزداءُ بالسحر

يريد الأصداء جمع صدىً ، وهو ذكر البوم ههنا ، وقوله عزّ وجلّ : «لا عاصم اليوم من أمر اللّه إلّا من رحم» ، وإنّما هو معصوم .

٢) كان يشير الى المقصور والممدود من الكلمات في كل بيت من أبيات المقصورة ويبين الخلاف في كتابتها بين البصريين والكوفيين ، قال في شرح البيت الأول :

(وتكتب الدجى بالياء ، إذا جعلته جمع دجية ، وجائز أن يكون من ذوات الواو ، من دجا الليل يدجو ، فإذا كان كذلك ، فأهل البصرة يكتبونه بالألف ، لأنه من ذوات الواو ، وأهل الكوفة يكتبون ذوات الواو ، إذا انضم أول الإسم أو انكسر ، بالياء ، نحو الرضى والضحى والعدى ، بالياء ، وأهل البصرة بالألف على القياس، وسأبيّن لك آخر كل بيت كيف تكتبه ...) .

٣) اعتمد كثيراً في شرحه على أقوال المفسرين والمحدثين ، قال في شرح البيت الثامن والعشرين بعد المئة :

فأوسَعَ الأحداب سيباً مُحسباً
وطَبّق البُطنانَ بالماءِ الرّوَى

الأحداب : الآكام ، واحدها حَدَب ، قال اللّه عزّ وجلّ : «وهم من كل حدب ينسلون» . وأخبرنا ابراهيم بن عرفة قال : حدثنا اسحاق بن الحسن عن الحسين بن محمد عن شيبان عن قتادة في قوله : «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج» قال : جعل خروجهما علماً للساعة ، «وهم من كل حدب ينسلون» أي : من كل أكمة .. وقوله : ينسلون ، أي يسرعون ، والنسلان : السرعة ، ومن ذلك الحديث : (شكونا الى النبي ﷺ شدة الرمضاء فقال : عليكم بالنسلان) . والعسلان والنسلان سواء ، وهو من (عدو الذئب ...) .

٤) عرض لكثير من القضايا النحوية والصرفية ذاكراً آراء العلماء فيها . قال في شرح البيت السادس والتسعين بعد المئة :

(بحيث لا تهدي لِسمْعٍ نبأة
إلّا نئيم البوم أو صوت الصَّدَى

حيث ظرف من المكان . قال أهل البصرة : إنّما وجب فيه البناء ، لأنه اسم لكل مكان ، فلما دخله الإبهام زال عنه الإعراب . وحيث في الأمكنة كقبل وبعد في الأزمنة بني على الضم . كذلك قال سيبويه عن الخليل : حيث ، بالفتح ، مثل أين وكيف ، مسموع عن العرب . وسمع الفراء حيث ، بالكسر ، وسمع الكسائي حوث ، بالواو ، وهي بالضم عند الفرّاء ، إذا كان يتضمن معنى محلين ، تقول : الخصب حيث المطر ، ومن العرب من يخفض بحيث..) .

وقال في شرح البيت الثالث والسبعين بعد المئة :

(فأمّا الباب فأصله بوب ، لقولك : أبواب وبويب . فإن سأل سائل فقال : ما تنكر أن يكون وزنه فعلاً ، بجزم العين ، لا فعل ، بتحريكها ؟ فقل : لو كان ساكناً ما انقلبت ، كقولك : نيب وبيع وقول وحول ، وإنّما أتت اللغتان كما قالوا : عيب وعاب ، فحكم عليه بـ (فعل) لا بـ (فعل) ، وأنشد :

أنا الرجل الذي قد عبتموه
وما فيكم لعيّاب معاب
أأصرها وبُنَيُّ عميّ ساغب
فكفاك من أبة عليّ وعاب

وقرأ ابن مسعود : «ذلك عيسى ابن مريم قال الحق» ، أراد : قول الحق ، (ونهى النبي ﷺ عن قيل وقال) ، فمن نوّن جعلهما مصدرين ، والأصل : قول وقول ، فقلبوا الواو ألفاً ، لانفتاح ما قبلها وتحركها ، ونقلوا كسرة الواو إلى القاف ، فصارت في حيّز الكسرة ياء) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥) عرض في شرحه لكثير من القضايا اللغوية كالإبدال والاتباع والأضداد والإعلال والمثنى والمذكر والمؤنث وغيرها .

ـ قال في شرح البيت الرابع بعد المئة :

(والسماء همزتها مبدلة من واو ، والأصل : سماو ، وكل واو وياء ، إذا حلت طرفاً بعد ألف ، انقلبت همزة ...) .

ـ وقال في شرح البيت التاسع والستين بعد المئة :

(والعرب تقول في الإتباع : مليح قزيح ، وواحد قاحد ...) .

ـ وقال في شرح البيت السادس والتسعين :

(الحميم ههنا : البارد . وفي غير هذا الموضع : الحار . وهو من الأضداد) .

ـ وقال في شرح البيت الثالث والخمسين بعد المئة :

(وفي حديث آخر أنّه أمرَ ﷺ بقتل الأسودين ، الحية والعقرب . والأسودان في غير هذا : التمر والماء ، والأسودان : سواد العين والقلب ، والأسودان : الليل والحرّة ...) .

ـ وقال في شرح البيت التاسع والخمسين بعد المئة :

(الهدى مصدر ، وهو يؤنث ويذكر ، يقال : هذه هدى ، وهذا هدى . مثله : سرى الليل ، يقال : هذا سرى ، وهذه سرى) .

٦) عرض أحياناً لما تلحن فيه العامة . قال في شرح البيت الثالث بعد المئة : (والعامة تقول : الضبعة العرجاء ، وهو خطأ) .

ـ وقال في شرح البيت الرابع بعد المئتين :

(ويقال : ثغر طرسوس ، بسكون الغين ، وشغب الجند ، كل ذلك بسكون الغين . والعامة تحركه ، وهو خطأ) .

٧) كان كثير الاهتمام بذكر السند عند إيراد الأخبار .

ـ قال في شرح البيت الأول :

(حدثنا ابن عرفة قال : حدثنا محمد بن عبد الملك قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا حُميد عن أنس ...) .

٨) ذكر كثيراً من القراءات القرآنية ، وقد بلغت نحو مئة قراءة .

٩) كان كثير التكرار في شرح الكلمات اللغوية وذكر الشواهد .

١٠) كان يرد أقوال قسم من العلماء ويناقشها ، فقد ردَّ على سيبويه واستدرك عليه ، وأبدى غرابته من أقوال ابن السكّيت واللحيّاني وغيرهم .

ـ قال في شرح البيت التاسع والثمانين بعد المئة :

(قال سيبويه : ليس في كلام العرب اسم على (مفعل) . وذكر الكسائي والفراء والمبرد : مكرما ومعونا ومألكا ، فقال من يحتجّ لسيبويه : إنّ هذه الأسماء جمع ، وإنّما قال سيبويه : لا يكون اسم واحد على (مفعل) . وقد وجدت أنا في القرآن حرفاً : «فنظرة إلى ميسرة» وكذلك قرأها عطاء بن أبي رباح) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قيمة الكتاب وأهميته :

كتاب شرح المقصورة لابن خالويه له أهمية كبيرة كما سبق وتكمن هذه الأهمية في النقاط الآتية :

١) في الكتاب شواهد كثيرة بلغت الألف ، وقد انفرد برواية قسم منها ، لذا فهو مصدر مهم في الاستدراك على دواوين الشعراء المطبوعة التي أخلت بالشعر الذي ذكره ابن خالويه ، من هؤلاء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر : رؤبة ، عبد الصمد بن المعذل ، عدي بن زيد ، عبيد بن الأبرص ، جرير ، الفرزدق ، عمر بن أبي ربيعة ، عمران بن حِطّان ، أبو نواس ، أبو الهندي ، ابن أبي طاهر ، الفضل بن العباس اللهبي .

٢) في الكتاب نصوص من كتب مفقودة ككتاب ابن السكّيت (المثنى والمكنى والمبنى) وكتاب ابن كيسان (الحقائق) .

٣) في الكتاب أبواب مهمة قائمة بذاتها استغرقت

صفحات كثيرة من الكتاب وهي :

أ) باب في ذكر ما قيل من المنظوم والمنثور في الخيل وما يستحب فيها ، وقد شغل اثنتى عشرة صفحة من المخطوط واستشهد فيه بواحد وتسعين بيتاً .

ب) باب في ذكر الشيب وما قيل فيه ، وقد شغل اثنتى عشرة صفحة أيضاً واستشهد فيه بسبعة وعشرين ومئة بيت .

جـ) باب في ذكر الخمر وما قيل فيها ، وشغل عشر صفحات من المخطوط ، واستشهد فيه بثمانية وعشرين ومئة بيت .

٤) في الكتاب أخبار وأحاديث تاريخية لم أقف على قسم منها ، وأهمها :

أ ـ خبر السموءل مع امرىء القيس .

ب ـ خبر الوضّاح مع الزبّاء .

جـ ـ خبر سيف بن ذي يزن مع الحبشة .

د ـ كتاب المعتضد إلى إسماعيل بن بلبل يطلب فيه شعر اليهود .

٥) في الكتاب قضايا لغوية كثيرة استفاد منها أصحاب معجمات المعاني ، منها ما ذكره في : أسماء السيف ، أسماء الرياح ، أسماء الحيات ، أسماء النبات ، أصوات الحيوانات والطيور ...

٦) كان الكتاب منهلاً للسيوطي في كتابه المزهر إذ نقل عنه في أكثر من خمسين موضعاً .

ثانياً ـ شرح ابن هشام اللخمي

ابن هشام اللخمي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأشبيلي ، من علماء اللغة في الأندلس ، توفي سنة ٥٧٧ هـ . له مؤلفات لم يطبع منها إلّا (المدخل إلى تقويم اللسان) وهو كتاب كبير من كتب لحن العامة . ومن مؤلفاته الأخرى (شرح الفصيح) وهو تحت الطبع الآن ، وكتاب (شرح مقصورة ابن دريد) ويسمى أيضاً : (الفوائد المحصورة في شرح المقصورة) وهو موضوع بحثنا .

بدأ المؤلف شرحه بمقدمة بيّن فيها سبب اهتمام أهل الأدب في زمانه بهذه المقصورة : (بسهولة ألفاظها ، ونبل أغراضها ، وثقة منشئها ، واستفادة قارئها ، واشتمالها على نحو الثلث من المقصور ، واحتوائها على جزء من اللغة كبير ، ولما ضمَّنها من المثل السائر ، والخبر النادر ، والمواعظ الحسنة ، والحكم البالغة البيّنة) .

وقد ذكر بعد ذلك السبب الذي دفعه إلى تأليف الكتاب وهو أن الذين انتدبوا قديماً وحديثاً إلى شرح المقصورة وفتح مقفلها وايضاح مشكلها من عليّة الأدباء وجلّة العلماء كان منهم المسهب المطوّل والمختصر المقلّل . أمّا هو فقد اعتمد حين سُئل شرح غريبها وذكر المبهم من معانيها وإعرابها على التوسط إذ هو خير الأمور واقتصر على ما هو أنفع عند الجمهور .

وذكر ابن هشام منهجه وأسلوبه في الشرح وأعقب ذلك بذكر نسب ابن دريد وشيوخه وسند القصيدة ، ثم بدأ شرح الأبيات بيتاً بيتاً ، وذكر عقب شرح أكثر الأبيات من أين أخذ ابن دريد معناها وعلام أسس مبناها من أشعار الجاهلية والمخضرمين ومَنْ بعدهم من المُحْدَثين ممن نسج على منواله واحتذى على مثاله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان يؤكد في كل بيت من المقصورة على رسم الألف المقصورة في آخر الكلمات ويعرب أغلب كلمات البيت محتجاً لهذا كله بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة وكلام العرب من الشعر والنثر .

ـ قال في شرح البيت :

واشتعل المبيض في مسودّه
مثل اشتعال النار في جزل الغضا

(اشتعل : فشا وانتشر ، واشتعال : انتشار . والجزل : الغليظ ، والغضا : ضرب من الشجر ناره بطيئة الخمود ، ويكتب بالألف . وهو مأخوذ من قوله تعالى : «واشتعل الرأس شيباً» . وقال الشاعر أيضاً في هذا المعنى :

إنّ تريْ رأسي أضحى واضحاً
سلّط الشيب عليه فاشتعل

و (مثل) : نعت لمصدر محذوف ، والتقدير : واشتعل المبيضّ في مسودّه اشتعالاً مثل اشتعال النار ، وموضع النار رفع ، والتقدير : مثل ما اشتعلت النار) .

ـ وقال في شرح البيت :

لازال شكري لهما مُوَاصلًا
لفظي أو يعتاقني صَرْفُ المُنَى

(الشكر : الثناء على الرجل بمعروف أولاكه . ومواصلًا : متصلًا ، أي لا أنطق بغيره . ويعتاقني : يحبسني ويمنعني . وصرف المنى : تقلبه من حال إلى حال . والمنى : القدر ، ويكتب بالياء ، وقيل : أراد المنايا ، فحذف ، كما قال الشاعر :

يريك المنا برؤوس الأسل

أراد المنايا ، وهذا مأخوذ من قول أبي الأسود :

سأشكر عَمراً ما تراخت منيتي
أيادي لم تمنن وإنْ هي جَلَّت

وقال عبد الصمد بن المعذل ، وهو أعمّ من قولهما :

سأجزيك شكري ما حييت فإن أمت
أبقي ثناء فيك يبقى إلى الحشر

و (لفظي) : مفعول بمواصل . وقوله (أو يعتاقني) : نصب بإضمار (أنْ) ، و (أو) ههنا بمعنى : إلى أنْ) .

ومن الممكن أن نلخص منهج ابن هشام اللخمي في شرحه للمقصورة بالنقاط الآتية :

١) اتّسم منهجه بالتكرار ، وقد أشار هو إلى ذلك فقال :

(وإنما اعدنا الكلام هنا ليكون كل بيت مستقلًا بنفسه ، وكذلك فعلنا بأكثر الأبيات احتياطاً للقارىء لتصح له الفائدة بتكرير القول فيها) .

٢) إيراد المعنى وضدّه . قال : (وهذا البيت :

واتّخذ التسهيد عيني مألفاً
لما جفا أجفانها طيف الكرى

ضد قول بشّار :

لم يطل ليلي ولكن لم أنَمْ
ونفى عني الكرى طيف ألم

وقال في موضع آخر : (وجدّ ، من قولهم : جدّ فلان في أمره ، إذا كان ذا حقيقة ومضاء ، والجد نقيض الهزل) .

٣) التوسع في معاني الألفاظ وعرض آراء الفقهاء وأهل المعاني .

قال : (الحين اسم مبهم على القليل من الزمان والكثير ، ويقع على ستة أشهر ، ومذهب مالك أنه يقع على سنة ، والدليل على ذلك قوله تعالى : «تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» . ويقع على أربعين سنة . وقال أهل المعاني في قوله عزّ وجلّ : «هل أتى على الانسان حين من الدهر» أن آدم أقام أربعين سنة مصوّراً وحينئذ نفخ فيه الروح .

وحُكي عن عاصم في قول النابغة :

تناذَرَها الراقون من سوء سمِّها
تطلّقه حيناً وحيناً تُراجع

قال أبو علي : الحين هنا كالساعة) .

٤) ذكر كثيراً من المسائل الفقهية وآراء الفقهاء فيها ، مثل : الطواف بين الصفا والمروة ورمي الجمار ، أيام التشريق ، عقوبة شارب الخمر ...

٥) ذكر الضرورات الشعرية . قال : (والطخا : العيب ، قصره ضرورة ، وهو جائز في الشعر ، لأنّ للشاعر أن يقصر الممدود لأنّه يرده إلى أصله . ولا يجوز له مدّ المقصور على مذهب البصريين لأنه خلاف الأصل) .

٦) ذكر المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين ولم نره يرجح رأياً على آخر إلّا في مسألتين : الأولى رجّح فيها رأي البصريين والثانية جوّز فيها رأي الكوفيين .

٧) الإكثار من الاستشهاد بشعر المحدثين كبشّار ابن برد وأشجع السلمي وابن الرومي والمتنبي وأبي تمام

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وابن لنكك والصابي وابن بقي ..

٨) ايراد كثير من القضايا اللغوية كالأضداد والإبدال والمذكر والمؤنث .

ـ قال : (الجون : الأسود ، ويكون الأبيض ، وهو من الأضداد) .

ـ وقال : (السبيل : يذكر ويؤنث) .

ـ وقال : (مذرى : مفتعل ، ثم أبدل من التاء ذالاً لتوافق الذال في الجهر ، وأُدغمت الدال في الذال) .

٩) ذكر الألفاظ التي تكون على بناء واحد ، قال في شرح البيت :

في كل يوم منزل مستوبل
يشتفّ ماء مهجتي أو مجتوى

(يقال : منزل ومنزلة ومكان ومكانة وحال وحالة ودار ودارة وخيال وخيالة وباب وبابة ودم ودمة وزوج وزوجة وبغل وبغلة وبياض وبياضة وكوكب وكوكبة ، وهو كثير) .

١٠) ذكر كثيراً من قضايا النحو كالبدل والتعجب وأنواع الحال والمفعول المطلق ، وفصّل القول في كثير من الأدوات والحروف مثل : إمّا ، بله ، حاشا ، حتى ، الكاف ، لما ، لو ، مذ ومنذ ، هيهات ..

قيمة الكتاب وأهميته :

لشرح ابن هشام اللخمي أهمية كبيرة ، وهو أحسن شروح المقصورة على رأي البغدادي ، قال في الخزانة ١/٤٩٠ عند حديثه عن شروح المقصورة : (لها شروح لا تُحصى كثرة ، وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي السبّتي..). وتكمن أهمية هذا الشرح فيما يأتي :

١) إنّ عدد أبيات المقصورة عنده : (٢٥٤) بيتاً . بينا هي (٢٣١) بيتاً عند ابن خالويه ، و (٢٥٣) عند التبريزي، و (٢٥٢) عند الزمخشري ، و (٢٢٦) عند ابن جماعة .

ومن اللّافت للنظر أن ابن هشام أشار إلى أنّ ثمانية عشر بيتاً لم تكن من المقصورة ، وكان يقول بعد كل بيت من هذه الأبيات : (وهذا البيت ليس من الرواية) . وهذا يفسر اختلاف عدد الأبيات عند شرّاح المقصورة .

٢) في الكتاب أحاديث وقصص تاريخية تختلف عن الروايات الأخرى التي وقفنا عليها في الكتب الأخرى ، منها :

أ ـ خبر امرىء القيس .
ب ـ خبر سيف بن ذي يزن .
ج ـ خبر أبي الجبر .
د ـ خبر عمرو بن هند وتحريقه لبني تميم .
هـ ـ خبر جذيمة الأبرش .
و ـ خبر قصير بن سعد .
ز ـ خبر عمرو بن عُدي .
ح ـ خبر بيهس .
ط ـ خبر يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة .
ي ـ حديث عبد الرحمن بن الأشعث .

٣) في الكتاب نقول كثيرة عن علماء الاندلس ، منهم : عاصم بن أيوب البطليوسي ، ابن السيد البطليوسي، ابن سيده ، أبو الحسن على بن عبد الرحمن ابن الأخضر التنوخي الأشبيلي ، أبو عثمان سعيد ابن عثمان القزاز ، أبو عبيد البكري ، ابن العربي ..

٤) في الكتاب شواهد كثيرة ، وفيه روايات كثيرة غير التي وقفنا عليها في دواوين الشعراء ، وهو بعد مصدر مهم في الاستدراك على كثير من الدواوين التي أخلّت بأبيات كثيرة ذكرها ابن هشام لشعراء كثيرين ، منهم : أبو الأسود الدؤلي، أشجع السلمي ، بشّار ابن برد ، أبو تمام ، الحطيئة ، ابن الرومي ، الشمردل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زياد الأعجم ، العجاج ، أبو العتاهية ، الكميت بن زيد، المرار الأسدي، المتنبي ، على بن جبلة العكوك ، عمارة ابن عقيل ، النجاشي ، عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ..

٥) في الكتاب نصوص كثيرة تظهر شخصية المؤلف ، ونلمس ذلك في آرائه وردوده التي انتشرت في الكتاب ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ قال في شرح البيت :

فاستنزل الزبّاء قسراً وهي من
عقاب لوح الجو أعلى منتمى

(وقوله : منتمى ، قد غلط فيه ، لأنّ العرب لا تقفي بالتنوين ومنتمى هنا منصوب على التمييز) .

ـ وقال تعليقاً على البيت :

إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن
عاراً عليك ورُبَّ قتل عار

(ويُروى : بعض قتل عار ، وهو الأصل) .

ـ وقال : (ومذهب البغداديين أن (فيعل) ، بفتح العين ، نقل إلى (فيعل) ، بكسرها ، قالوا : لأنّا لم نر في الصحيح بناء فيعِل ، إنما هو بفتح العين ، مثل : ضيغم وخيفق وضيرب . والصحيح ما ذهب إليه البصريون ، لأنّ المعتلّ قد يأتي فيه من الأبنية ما لا يأتي في الصحيح ، لأنّه نوع على حياله) .

ـ وقال : (ومنهم من يرى أنّ العامل في (إذا) الفعل الذي بعدها . وذلك خطأ ، لأنّها في تقدير الإضافة إلى ما بعدها ، ولا يجوز أن يعمل المضاف إليه في المضاف) .

وبعد فلابد من الإشارة أخيراً إلى أنني اعتمدت في هذا البحث على مخطوطة المتحف العراقي من شرح ابن خالويه ، وعلى مخطوطة الأسكوريال من شرح ابن هشام اللخمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد أعجبتني
كتاب صدر فأعجب الناس
المؤلف : د. غازي القصيبي
الناشر : دار ثقيف للنشر والتأليف
الموزع : تهامة للنشر والمكتبات

العالم الأصولي :

عبد العزيز بن إبراهيم بن بزيزة التونسي

جمال بن حمّادة

كنّا قد تحدّثنا في العدد الثالث / المجلّد الثالث من مجلة «عالم الكتب» الصادرة في محرّم ١٤٠٣ هـ. عن الحياة الفكريّة والاجتماعية بتونس في النصف الأول من القرن السابع للهجرة ، ثم أردفنا ذلك بنبذة من حياة العالم التونسي ابن بزيزة . ونواصل في هذه الحلقة الحديث عن بعض الجوانب الأخرى من هذه الشخصية الثّرية .

شـيوخه :

عدّد الغرناطي ـ وهو من أعلام القرن السابع ـ شيوخ ابن بزيزة وحدّدهم في ثلاثة أعلام هم : أبو عبد الله الرعيني السوسي وأبو محمد عبد السلام البرجيني وأبو القاسم ابن البراء . وهؤلاء جميعاً قد تأثروا بإمام العصر محمد بن علي المازري المُتوفى سنة ٥٣٦ هـ [٣١] .

وقد تبين لنا بعد مكافحة بعض النصوص ومقارنتها ما يلي :

١ ـ أن صاحبنا قد أخذ العلم عن أبي عبد الله السوسي الذي أخذ بدوره : «**عن القاضي أبي يحيى ابن الحداد تلميذ المازري وعنه (أي السوسي) ابن بزيزة وغيره**[٣٢]» . واحتمال اتصال السوسي بالقاضي أبي يحيى ضعيف . وحتى التلميحات التي وردت في بعض الكتب لم تخلُ من ضبابية وغموض . فإذا ما سلّمنا بأن السوسي قد ولد سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م [٣٣] فأنّى له أن يتصل بابن الحدّاد الذي ذكرت المصادر أنه تُوفي في حدود سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م [٣٤] .

٢ ـ أن تفقه ابن بزيزة على البرجيني لا يثير فينا الشك ما دامت بعض المراجع قد أشارت إلى أن الأخير كان حيا سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م[٣٥] . فمن الجائز أن يكون صاحبنا قد تفقّه عنه في أواخر حياته . أما عن إمكانية اتصال البرجيني بالإمام المازري ، فإن الغموض اكتنف هذه المسألة إذ تضاربَتِ الآراء ، وتعدّدت وجهات النظر بين النفي والإثبات . ففي حين يذكر مخلوف في معرض حديثه عنه ما نصه : «**الإمام الفقيه الفاضل العمدة الكامل العالم العامل أخذ عن المازري**[٣٦]» ، ورغم أن ابن القنفذ يذكر خبراً عن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص مفاده : «**أنه دخل عليه الفقيه أبو عبد السلام البرجيني من تلاميذ الإمام المازري**[٣٧]» ، فإن المرحوم حسن حسني عبد الوهاب يشك في أن يكون الشيخ أبو عبد السلام قد التقى بالمازري أصْلاً للتفاوت الزمني بين تاريخ وفاة الإمام وولادة أبي عبد السلام (الذي بقي مجهولًا بالنسبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنا) . ولئن ذكر ابن القنفذ[٣٨] أن البرجيني قد توفي سنة ٦٦٢ هـ فإن المرحوم حسن حسني عبد الوهاب[٣٩] يذهب إلى أنه مات سنة ٦٣٠ هـ. ومهما يكن من أمر فإننا نجوز اتصال الشيخين ببعضهما عن طريق السند والرواية .

٣ ـ إن تلقي ابن بزيزة العلم عن أبي القاسم ابن البراء المهدوي لا يثير أي مشكل ، للتقارب الزمني بينهما سيما وأن الأخير قد ولد سنة ٥٨٠ هـ وتوفي سنة ٦٧٧ هـ[٤٠] .

وعلى العموم فإنه يمكننا الإقرار بأن فقه المازري وعلمه قد امتدا على مدى أحقاب طويلة بعده ، مما جعله يتبوأ الصدارة والوجاهة في نظر الخاص والعام ، إلى درجة أن مدرسته الكلامية قد استوعبت مختلف التيارات الفكرية المتواجدة على الساحة المغربية طيلة ردح كبير من الزمن . وسواء تأثر به ابن بزيزة أو لم يتأثر ، فالمهم أن هذا العصر كان امتدادا لفكر المازري ولأتباعه ومناصريه .

تلاميذه :

أغفلت المصادر التي عدنا إليها هذا الجانب ، ولم نعثر إلّا على ملحوظة عابرة في كتاب «ورقات»[٤١] هذا نصها : «... **ومن أشهر تلاميذه ابن زيتون مفتي أفريقية وقاضيها في مدة أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر . مولده ٦١٢ هـ/١٢٢٤ م وقد تخرج عن ابن بزيزة وغيره** » .

وترجيح فكرة تولي ابن زيتون الافتاء في عهد أبي زكرياء أمْرٌ قد لا تتفق في شأنه القرائن التاريخية إذا ما علمنا أن هذا الأمير قد تولّى الحكم عشرين عاماً آخرها كان سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م . فإذا ما سلّمنا بأن ابن زيتون قد ولد سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م فأنّى له أن يتولّى القضاء وعمره لم يتجاوز بعد الـ ٢٤ سنة ؟ .

بقي أمر آخر يتعلق بمعرفة السبب الذي جعل النصوص المتوفرة لدينا اليوم لا تسهب في الحديث عن شيوخ صاحبنا وتُعْرِضُ عن ذكر تلاميذه .

وطبيعة السؤال تفضي بنا إلى تجويز بعض الحقائق التي منها :

أ ـ أنّ ابن بزيزة لم يبلغ شهرة المازري قبله ولا ابن عرفة بعده ، مما جعل المؤرخين يترجمون له كواحد من العلماء فحسب .

ب ـ ان اسمه لم يقترن بأحد الأعلام البارزين لا من الأمراء والملوك ولا من الشيوخ والتلاميذ .

تآليفه :

وردت مؤلفاته متفرقة في الكتب التي ترجمت له ، وجاءت موزعة شأنها في ذلك شأن مؤلفات كل الأعلام تقريباً . وقد اجتهدنا في حصرها وضبطناها في العناوين التالية :

١ ـ الاسعاد في تحرير مقاصد **الإرشاد**[٤٢] .

٢ ـ البيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل ـ ويُسمّى أيضاً : «تفسير القرآن الكريم» .

٣ ـ شرح **التلقين**[٤٣] .

٤ ـ شرح **الأسماء الحُسنى**[٤٤] .

٥ ـ شرح **العقيدة البرهانية**[٤٥] .

٦ ـ شرح **الأحكام الكبرى أو الصغرى**[٤٦] .

٧ ـ شرح **المفصّل**[٤٧] .

٨ ـ شرح **الجمل**[٤٨] .

٩ ـ منهاج العوارف إلى روح المعارف .

١٠ ـ إيضاح السبيل إلى مناحي التأويل ـ وهو مختصر لمنهاج العوارف .

١١ ـ المنقول من معجزات الرسول .

١٢ ـ الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار .

١٣ ـ تأليف في التنبيه على مواضع من كتاب **منهاج الأدلّة**[٤٩]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسعياً وراء بيان ما أغفلته بعض المصادر وما ذكرته أخرى ، أو ما اتّفقت جميعها على إغفاله أو ذكره ، نورد مؤلفات ابن بزيزة كلية مشفوعة بذكر من قيدها وضبطها من أصحاب التراجم :

	الغرناطي	البسيلي	التنبكتي	مخلوف	كحالة	بروكلمان	ابن بزيزة	ما توصلنا إليه
١) الإسعاد	*	*	*	*	*	*	*	
٢) البيان والتحصيل	*	*	*	*	*	*		
٣) شرح التلقين	*	*	*	*	*			
٤) شرح الأسماء الحسنى			*	*				
٥) شرح العقيدة البرهانية			*	*				
٦) شرح الأحكام الكبرى أو الصغرى	*	*	*	*	*			
٧) شرح المفصّل	*	*						
٨) شرح الجمل	*	*						
٩) منهاج العوارف			*	*			*	
١٠) إيضاح السبيل			*	*			*	
١١) المنقول							*	
١٢) الأنوار في فضل القرآن								*
١٣) تأليف في التنبيه							*	

ونخرج من هذا الرسم البياني بجملة من الملاحظات :

أ) أن الاتفاق في بعض مؤلفات ابن بزيزة حاصل بين البسيلي الذي اعتمد على الغرناطي ، وبين مخلوف الذي تقيّد بما أورده التنبكتي . وفضل الأخير يتمثل في إضافة مؤلفات لم تذكرها كتب المتأخرين .

ب) أن التأليف الذي تردد أنه في « تفسير القرآن الكريم » والذي لاحظ البسيلي[٥٠] أن صاحبنا جمع فيه بين تفسيري ابن عطية والزمخشري هو الكتاب الموسوم بـ : « البيان والتحصيل المطّلع على علوم التنزيل » . وقد تبين لنا هذا بالرجوع إلى فهرس مخطوطات جامع القرويين بفاس[٥١] حيث أدرج الكتاب ضمن باب « التفسير » .

ت) أن أغلب المراجع أغفلت أن يكون لابن بزيزة تآليف في النحو إلا الغرناطي[٥٢] الذي يقول بصريح العبارة : « ... **ومنها في النحو شرح المفصل وشرح الجمل** ... » .

ث) أن كل المراجع نسبت له كتابي « الإسعاد » و « البيان والتحصيل » . وهذا ما يفسر تداول هذين المخطوطين وبقاءهما إلى يومنا الحاضر .

ج) أن نظرة سريعة إلى تصانيفه تجعلنا ندرك بسهولة انعكافه على « الشروح » و « الجموع » و « المختصرات » . ولا ضير مادمنا نعرف أن الشروح والمتون والحواشي جاءت تتمة للحلقة الأولى التي دوّن فيها العرب نظرياتهم وأفكارهم في مختلف مجالات المعرفة ، بل إن هذه الفنون المستحدثة لعبت دوراً كبيراً في تبسيط المعارف وتيسيرها لعموم الناس .. وحتى لا ننعت صاحبنا « بالعقم الفكري » ــ والحال أن أغلب مؤلفاته مستوحاة من أمهات الكتب ــ فإننا نرى أغلب العلماء ميالين إلى تطبيق المنهج العلمي التجريبي الذي يخضع لقانون الشروح وتذليل الصعوبات التي قد تعلق في أذهان طلبتهم . ولنا في المازري ــ على سبيل المثال ــ أسوة حسنة إذ التزم بهذا المبدأ فشرح كتاب « البرهان »[٥٣] للجويني ووضع كتاباً في الرد على « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي .

ح) أما أهم استنتاج بالنسبة لنا ، فيتمثل فيما ضبطناه بالاعتماد على كلام ابن بزيزة نفسه في كتاب « الإسعاد » ، ومما تم استخراجه بالاستناد على الفهارس المتوفرة لدينا .

ومن هذا **المنطلق** توصلنا إلى النتائج التالية :

ــ انفرد ابن بزيزة ــ دون غيره ــ بذكر تأليفين من تآليفه وهما :

أ) «المنقول ...» الذي يقول في شأنه : « .. **وقد ذكرنا من معجزاته صلعم الواقعة في الأخبار ما بلغ إليه علمنا وجمعنا ذلك في كتابنا المسمى المنقول في معجزات الرسول**»(٥٤) .

ب) «تأليف في التنبيه على مواضع من كتاب منهاج الأدلة» ويقول بخصوصه : «**وقد وهم في هذه المسألة ابن رشد المتأخر ورغم أن الواجب ألّا يصرح فيها بنفي ولا إثبات وهذا الذي قاله خطأ لأن الشك في العقائد كفر محض والدلائل القطعية قاطعة والظواهر الشرعية متأولة وله في كتابه الصغير الذي سمّاه «منهاج الأدلة» مواضع نبهنا عليها وفيها غلط فاحش**»(٥٥) .

وتزداد أهمية هذا الجانب إذا ما علمنا أن الكتب القديمة والدراسات الحديثة القليلة ، قد جهلت أمر هذين الكتابين جهلًا تاماً . ويعزى السبب ــ في نظرنا ــ إلى أن أحداً لم يكلف نفسه جهد التقصي وعناء البحث في المخطوط الذي بين أيدينا .

ــ اضطرب كل من التنبكتي ومخلوف اللذين ذكرا ــ دون غيرهما ــ «منهاج العوارف..» و «إيضاح السبيل» ضمن محاولتهما لحصر مؤلفات صاحبنا ، إذ جاء عنوان الكتاب الأول تارة : « منهاج العارف إلى روح المعارف» وطوراً «منهاج العارف إلى روح العوارف» . أما الكتاب الثاني فاكتفيا بإيراده ، على النحو التالي : «إيضاح السبيل» ذاكرين أنه (أي التأليف الأخير) اختصارٌ للأول .

ولبيان أوجه الصحة ، استندنا على ما ذكره ابن بزيزة بشأن كتابيه إذ يقول فيهما ما نصه : « ... **وكلام الامام في التأويل بيّنٌ . وقد ذكرنا تأويل أكثر المشكل في كتابنا المسمّى : «منهاج العوارف إلى روح المعارف» وفي مختصره المسمّى بـ : «إيضاح السبيل إلى مناحي التأويل» «والله يرشدنا للصواب بمنّه**»(٥٦) .

ــ لم تشر المصادر القديمة والحديثة ــ حسب علمنا ــ إلى كتاب «الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار» . وقد تمكنّا ــ والفضل لله ــ من العثور عليه ضمن مخطوطات مكتبة صفاقس بدار الكتب الوطنية تحت الرقم : ١٩١٦٠ . ويحدد ابن بزيزة في ديباجة هذه الرسالة التي تقع في ٢٨ ورقة الغرض من تأليفه فيقول بعد البسملة والحمد له : « .... **قال العبد الفقير الى الله سبحانه عبد العزيز بن ابراهيم بن بزيزة التيمي استخرت الله سبحانه بحضرة تونس حرسها الله في إملاء هذه الأحاديث التي تشتمل على فضل القرآن وما أعد الله سبحانه لقارئه والعاملين به من الثواب الجزيل والذخر الجميل والله سبحانه المسؤول في أن يجعلنا له من التالين وبه من العاملين**» .

الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد :

سبق أن لمّحنا أنّ روح العصر قد غلب عليها الاعتناء بكتب الأصول لما تحتوي عليه من حجاج وأدلة عقلية . ولقد ذكرنا أن مثقفي هذا العصر من التونسيين كانوا متأثرين إلى حدٍ كبير بالإمام المازري ــ أحد أعلام أهل السنة ــ الذي تأثر هو الآخر بسمة العصر البارزة إذ أخذ بأساليب أقطاب هذا المذهب في الحجاج والمناظرة والجدل ، واهتم بكتب الأصول كما : «**شرح كتاب البرهان للجويني الذي سمّاه إيضاح المحصول من برهان الأصول» وكذلك كتاب الرد على «إحياء علوم الدين» للغزالي والذي سمّاه : «الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء**»(٥٧) . وقد اقتدى في كل هذا بأئمة العصر من الأشاعرة وخاصة بإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م ــ ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) الذي : «**أملى في الطريقة كتاب «الشامل» وأوسع القول فيه ثم لخّصه في كتاب «الإرشاد» واتّخذه الناس إماماً لعقائدهم**»(٥٨) .

وليس من شك في أن ابن بزيزة وهو أحد تلاميذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المازري الروحيين ـ مثلما أشرنا ـ قد تأثر أيضاً بالثقافة السائدة آنذاك ، وانتصب كغيره مدافعاً عن مذهب أهل السنّة ذائداً عنه ، مقتدياً في ذلك بكل العلماء والمتكلمين السنيين ، علما بأن نظام الحكم الذي تفيأ تحت ظلاله صاحبنا قد شدد الخناق على كل من خرج عن عقيدة الموحّدين . فالثابت عندنا أن عصر ابن بزيزة لم يكن عصر حجاج عقلي ومناظرات أو جدل ، ولم تكن السلطة لتسمح بحرية التفكير والتعبير إلا لمن يخدم ركابها ويتحزب لآرائها . فالمعروف عن أبي زكرياء الحفصي أنه قد عزل صديقه الفقيه ابن الآبار وأبعده عن خطة «الإنشاء» لأنه : « **أقدم على التعليم في كتب لم يؤمر بالتعليم فيها**.. »[٥٩] . وإذا كانت الحالة السياسية على هذا النسق فكيف يتجرأ ابن بزيزة على شرح كتاب «الإرشاد» وهو الكتاب الذي ألّفه الجويني ليناظر به غيره من المعتزلة في فترة تقلقل فيها النظام السياسي القائم ببغداد وتزعزع ، وفي حقبة تعتبر حلقة من حلقات التمزق والانحدار الذي تردت فيه الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً ؟ هل كان ابن بزيزة يمثل تفكيراً أو اتجاهاً معيناً ؟ وهل كان الغرض من شرحه كتاب «الإرشاد» خدمة النظام الموحدي ـ بصورة ضمنية ـ وذلك بالتهجّم على غير السنيين من أهل البدع أم أنه أراد أن ينهج نهج غيره تقليداً واحتذاءً ؟ .

الواضح من هذا الكتاب أن ابن بزيزة قد كان كغيره سني النزعة أشعري العقيدة إذ أطلق على شيوخ السنة عبارات تدل على تحيّزه لهم وتقليده إياهم ، من ذلك ورود كلمات قد تكررت كثيراً في المخطوط الذي بين أيدينا مثل : «أئمتنا» «أهل الحق» «أصحاب الرأى» إلخ .. ولقد تعرّضنا في حديث سابق إلى أن عقيدة المهدي بن تومرت الموحدية التي تبنّاها أبو زكرياء يحيى الحفصي هي عقيدة استقت ينابيعها من «السُّنَّة الأولى» واجتهدت في استنباط دعائمها منها . لذلك لم يقاوم الموحّدون أصحاب هذا المذهب من السنّيين بل ربما استعملوا أساليبهم وحجاجهم في مقاومة المذاهب الأخرى ، ووظّفوا حركتهم للتصدي إلى كل خارج عن عقيدتهم وإرادتهم .

ولا غرو فإن صاحبنا قد كان كغيره من العلماء والفقهاء يدين بالولاء للسلطة ويتمذهب بالمذهب السُني الأصيل دون أن يشير في شرحه إلى أى رأي قد يشتم منه تورطه أو حتى انتاؤه إلى التفكير الموحدي . إذا ما أضفنا إلى كل هذا ، المنحى الذي اتخذه في تآليفه حيث أنه اعتمد على شروح يغلب عليها جمع معلومات المتقدمين من العلماء ، وإذا ما أضفنا أنه لم يقدم إلى الافتاء أو القضاء ولو مرة واحدة فإننا نجوز افتراض أحد الأمرين :

١ ـ أما أن يكون أحد هؤلاء المتفقهين العاديين حيث لم يُعْتَدّ بعلمه ولم يشدّ إليه الانتباه ، فطوي في سلة النسيان وغبن في ذاكرة التاريخ . ولكن هل يجوز لنا الاقتناع بهذا الرأي والحال أن كتاب «الإسعاد» غزير المادة ، قوي الحجة والدليل ثابت على المناظرة والجدل ، بعيد عن اللغو والاسفاف ، متّسم بالموضوعية والانصاف . فالشيخ ملمٌّ بالموضوعات الأصولية إلماماً يبرز رسوخ قدمه فيه ، وتضلعه في جوانبه المتشعبة والغوص في لجة بحره الكثيف . وأنّى لنا أيضاً أن نجاري هذه الفكرة ، وقد اعترف بفضله وشهد بعلمه وتبحره بعض المتأخرين الأفذاذ من العلماء التونسيين كأبي القاسم البرزلي القيرواني[٦٠] المتوفى سنة ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م في كتابه «الحاوي في الفتاوي»[٦١] ومحمد الوشتاتي الأبي[٦٢] المتوفى سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م (وأحد تلاميذ ابن عرفة الورغمي البارزين) في «تفسيره»[٦٣] للقرآن الكريم .

٢ ـ أو أن يكون شديداً على نفسه بحيث اختار أن يكون ذلك العالم الذي يفيد بعلمه دون جلبة وضوضاء ودون الخوض في غمار التحزب السياسي فانكسفت عليه الأضواء وأهملته الكتب التي أسهبت في الحديث

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن معاصره ابن الآبار وتلميذه ابن زيتون **ويكون بهذا الموقف السلبي قد اتخذ في حقيقة الأمر موقفا من أصحاب السلطة والنفوذ .**

شروح الإرشاد :

احتل الإمام أبو المعالي الجويني ردحاً طويلًا من الزمن الإمامة ، وتولّى الصدارة في تدريس العلوم المختلفة وبخاصة علم الأصول وانتصب للدفاع عن عقيدة أهل السنة من «أصحاب البدع والأهواء» . وهو في كل هذا يدارس العلماء ويناظرهم حتى ذاع صيته وبلغت شهرته أقاصي الأرض شرقاً وغرباً . وتكفي نظرة خاطفة على كتابيه «البرهان» و «الإرشاد» لتظهر لنا ما ورد فيهما من قدرة عجيبة على بسط المسائل الأصولية وكيفية تناولها ثم الخوض فيها بطريقة قائمة على دعائم مرتكزة على ثقافة عالية ، جناها من مناظراته واكتسبها من حبّه للجدل وشغفه به ، وأفاد بها من تدريسه ورحلاته .
وإذا كان الجويني بمثل هذه الشهرة والذيوع ، فليس من الغريب أن نجد التلاميذ والمحبين يقتفون أثر أستاذهم ويعكفون على مصنفاته تحبيراً وتدويناً ، بإلهام من وحي علمه الغزير الفياض ـ رحمه الله ـ سالكين في كل هذا مسلك التلاميذ البررة المعترفين بجميل شيخهم وقدوتهم واضعين في الاعتبار ما يقتضيه الواجب نحوه ، وما يمليه الضمير من حظوة وتبجيل . لذا اهتم الكثير من العلماء بكتب أبي المعالي وتعهدوها بالشروح والتعاليق والحواشي . ومن المفيد أن نذكر شروح «الإرشاد» ـ الكتاب الذي يهمنا في دراسة الحال ـ :

١ ـ شرح «الإرشاد»[٦٤] لأبي القاسم سليمان ابن ناصر الأنصاري المتوفى ٥١٢ هـ / ١١١٥ م .

٢ ـ «شرح الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد[٦٥]» لأبي العز المقترح المتوفى سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م .

٣ ـ «شرح الإرشاد الموضّح سبيل الرشاد»[٦٦] لإبراهيم بن يوسف بن المرأة الأوسي المتوفى سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م .

٤ ـ «المهاد في شرح الإرشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد»[٦٧] لمحمد بن مسلم المازري الإسكندري المتوفّى سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م .

٥ ـ **«الإسعاد في تحرير مقاصد الإرشاد» لصاحبنا ابن بزيزة .**

كتاب «الإسعاد» :

تردد اسم الكتاب بصيغ مختلفة فتارة «الإسعاد في شرح الإرشاد» وطوراً «الإسعاد على الإرشاد» ومرة «الإسعاد في تحرير مقاصد الإرشاد» . ومهما اختلفت التسميات فإنها أُطلقت على مسمى واحد .
ولعلّه من المفيد أنْ نذكر ما جاء في مقدمة الكتاب على يد محمد بن ميمون الواصلي ناسخ النسخة الأصلية إذْ يقول : «هذا كتاب **«الإسعاد في شرح الإرشاد» المشتمل على قواعد الاعتقاد من تآليف الامام أبي المعالي الجويني النيسابوري إمام الحرمين ـ رحمه الله ـ ألفه بحضرة تونس حرسها الله الشيخ الفقيه الحبر الصوفي أكرمه الله بعنايته وتولّاه برعايته سيدنا أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن بزيزة في سنة أربعة وأربعين وستمائة ـ ٦٤٤ هـ»**[٦٨] .
والتاريخ الوارد هام لاعتبارات منها : أنّ الكتاب أُلّفَ في فترة نضج صاحبنا وفي عهد أبي زكرياء الحفصي .
ويمكننا القول بأن هذا الأثر جاء ليعكس وجهاً من أوجه الحياة الثقافية في هذا العصر وليعطينا صورة عن طابع التآليف التي كانت تطغى على الناس في النطاقين الخاص والعام .

أبواب الكتاب :

توالت أبواب المخطوط على النسق الآتي :
١ ـ باب في أحكام النظر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ باب حقيقة العلم .
٣ ـ باب القول في حدث العالم .
٤ ـ باب القول في إثبات الصانع .
٥ ـ باب القول فيما يجب لله تعالى من الصفات .
٦ ـ باب العلم بالوحدانية .
٧ ـ باب إثبات العلم بالصفات المعنوية .
٨ ـ باب القول في إثبات العلم بالصفات .
٩ ـ باب القول في معاني أسماء الله .
١٠ ـ باب الكلام في جواز رؤية الله تعالى بالأبصار ووجوب رؤيته في الدنيا والآخرة .
١١ ـ باب القول في خلق الأعمال .
١٢ ـ باب في التعديل والتجوير .
١٣ ـ باب في الصلاح والأصلح .
١٤ ـ باب القول في إثبات النبوة .
١٥ ـ باب في إثبات الكرامات وتمييزها عن المعجزات .
١٦ ـ باب في الوجه الذي تدل منه المعجزة على صدق النبي .
١٧ ـ باب القول في أحكام الأنبياء .
١٨ ـ باب الإعادة .
١٩ ـ باب في جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع .
٢٠ ـ باب في الثواب والعقاب .
٢١ ـ باب القول في الإمامة .
٢٢ ـ باب في الاختيار وصفته وذكر ما تنعقد به الإمامة .

وتكفي المتأمل نظرة مقارنة لفهرس موضوعات كتاب «الإرشاد» المطبوع[٦٩] ليسوق الملاحظتين التاليتين :

١ ـ أنّ الأبواب الورادة في النص المخطوط مطابقة لمثيلتها في الكتاب المطبوع وخاضعة لنفس الترتيب .

٢ ـ أنّ الاختلاف حصل في «باب إثبات الكرامات وتمييزها عن المعجزات» ففي حين كان في النص المخطوط بابا مستقلًا فإنه ورد في الكتاب المطبوع فَصْلًا تابعاً «لباب القول في إثبات النبوّات» والعكس بالنسبة «لباب في الأسماء والأحكام» الذي صار في المخطوط فصلًا .

وعلى العموم فإن المخطوط قد احتوى على ٢٢. باباً اختلفت فيما بينها طولًا وقصراً حسب غزارة المادة أولًا ، وحسب نوعية الموضوع ثانياً .

مِنْهَج ابن بزيزة :

جرت عادة العلماء والفقهاء إلى بيان الغرض من تآليفهم ، حتى أنك تجد في تصدير البعض منهم وتقديمهم ما يغنيك عن البحث عن هوية الكتاب وطريقة صاحبه فيه والمنهج الذي سيرتكز عَلَيْهِ في تناول القضايا والمسائل ، إلّا أن ابن بزيزة شذّ عن هذه القاعدة ولم يذكر لنا لا منهجه ولا الغاية التي حدت به إلى وضع كتاب «الإسعاد» بَيْدَ أن المتقصّي لأبواب التأليف الذي بين أيدينا يمكن له تحديد ملامحه الكبرى والخروج ببعض النتائج المعيارية التي منها :

١ ـ الابتعاد عن الذاتية وانتفاء إطلاق الأحكام المسبقة في شرحه . من ذلك أنه التزم بطريقة واحدة من أول الكتاب إلى آخره ، فكان يعرض إلى قول الجويني أولًا ثم يتناوله بالشرح والتحليل . مثال : « **قال إمام الحرمين في خطبة كتابه : الحمد لله باري النسم» قلت : الإبتداء بالتحميد سُنّة جارية وعادة شرعية ماضية . وقد افتتح سبحانه به في كتابه العزيز وجعله خاتمة دعاء أوليائه في جنّته . وفي السُنّة أن النبي ﷺ قال : كلّ أمْرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله أبتر**[٧٠] .. إلخ .

٢ ـ التعرض إلى كل مسألة من وجوهها المختلفة

وعرض آراء المخالفين لها ـ دون تعصب ـ ثم اختيار أوجه الصواب التي يراها كافية ـ من وجهة نظره ـ للرد والاقناع . من ذلك قوله : « **قال الإمام الجنة والنار مخلوقتان . هذه قاعدة أهل السنة ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة . والخلاف بيننا وبينهم في ذلك في مسائل** »[٧١] .

٣ ـ توخيه للطريقة التعليمية التي يقصد بها التبسيط والتيسير وذلك بتحديد بعض معاني الألفاظ أو المصطلحات ـ لغوياً ـ يقول : « **النَّبِيءُ مشتَقٌ من النَبأ وهو الخبر لأنه مخبر من الله ومخبر عن الله . فأصله الهمز حينئذ وقد يخفّف . وقيل إنه مشتق من « النبوة » وهو المرتفع من الأرض لأنّ له رفعة عند الله ومنزلة منيفة فلا أصل له حينئذ في الهمز فهو على الاشتقاق الأول « فعيل » بمعنى « مُفْعَل » وعلى الثاني « فعيل » بمعنى « فاعل » ، والمعنى أنه عالي المنزلة سامي المرتبة . ورسول « فعول » بمعنى مفعول واشتقاقه من « الرَسْل » وهو اللَبَنُ يتتابع درُّه . ويقال لمن أراد أن يفارق حالته الأولى : « على رسلك » أي تابع ما كنت فيه إلخ ...** »[٧٢] ثم استخدمها في معناها الاصطلاحي : « **وحَدَّ بعض العلماء المحققين النبوة والرسالة فقال اتصال خطاب الباري سبحانه بالنبي والرسول بواسطة وبغير واسطة** »[٧٣] .

٤ ـ اعتماده ـ أحياناً ـ على الأسلوب المنطقي الذي يرتكز أساساً على القياس من ذلك قوله : « **ولا فرق عنده بين تعلق القدرة الحادثة بالمقدور وتعلق العلم بالمعلوم وكما أن العلم لا يؤثر في المعلوم كذلك القدرة الحادثة لا تؤثر في المقدور ...** »[٧٤] .

٥ ـ الإنحياز الكامل لأهل السنّة ـ دون تعصب جارف ـ ومحاولة تغليب آرائهم على سائر المذاهب متخذاً طريقتهم في الحِجَاج والاستدلال النقليين . ويتبين لنا هذا بصفة خاصة من خلال البابين الأخيرين : « باب القول في الإمامة » و « باب الاختيار وصفته وذكر ما تنعقد به الإمامة » حيث حاول إظهار أحقّيّة أبي بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ في خلافتهما للرسول ﷺ على علي بن أبي طالب . يقول في آخر هذا الباب : « ... **فقالت طائفة كبيرة من العلماء وجمهور الأمة : أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر . وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة وجماعة من الإمامية : أفضل الخلق علي رضي الله عنه . وقالت طائفة كبيرة من العلماء : أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ العباس وهو أحقُّ بالخلافة منه . والصحيح تقديم أبي بكر بالقرآن والخبر والإجماع . وقد روى إمام الحرمين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : خير الناس بعد نبيّهم أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم بخيرهم بعدهما . وقال عليه السلام لو كان بعدي نبي لكان عمر ولو لم أبعث فيكم لبعث عمر وإن الله ضرب الحق على لسانه وقلبه يقول الحق وان كان شرا ....** » إلخ[٧٥] .

٦ ـ غض الطرف عن العلماء التونسيين الكثيرين من أصحاب مذهب السنة وتبنّيه لأفكار المشارقة منهم : مثل أبي الحسن الأشعري وأبي بكر الباقلاني والجويني وغيرهم ... الى حد أنه تجاوز نظرياتهم ولَمْ يذكر ولو رأياً واحداً لعالم تونسي .

المخطوطات التي أعتمدناها في عملنا :

اعتمدنا على مخطوطين : رمزنا للأول بـ « أ » والثاني بـ « ب » .

١ ـ المخطوط « أ » :

هو مجموع يوجد بدار الكتب الوطنية التونسية (رصيد مكتبة صفاقس) تحت رقم : ٢٠٠٧٣ . وهذا المجموع يحتوي على رسالتين :

الأولى : « شرح الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد » لأبي العز المقترح ـ وهي قطعة مبتورة

الأول / عدد أوراقها ١٠٦ .

الثانية : «الإسعاد في تحرير مقاصد الإرشاد» لابن بزيزة عدد أوراقها ١١٥ وهي النسخة الأم التي أعتمدنا عليها في دراستنا .

الناسخ : نسخ الرسالتين محمد بن ميمون الواصلي :
الأولى أتمّها في الخامس من ذي الحجّة سنة ٨٣٠ هـ .
والثانية : «كان الفراغ منها يوم الأحد في العشر الأواسط من شهر شوّال عام واحد وأربعين وثماني مائة ٨٤١ هـ» .

التملكات :

يوجد بالمخطوط أصلان للتملّك :

الأول : كتب بخط مغربي ونصُّه : «**مشتريه ومالكه بالشراء الصحيح من متروك مصطفى خوجة . كاتب الحروف محمد بن محمد جلبي في أواخر ربيع الأول من سنة ١٠٧٣ هـ**» .

الثاني : كتب بخط مشرقي ونصه : «**مشتريه ومالكه بالشراء الصحيح من ورثة الشيخ القدوة سيدي أبي الطيّب رحمه الله . كاتب هذه الحروف محمد بن حسن عرف صمدي . عفا الله عنهما ووقاه من الفتن**» .

الخط	:	مغربي بإعجام .
المِدَاد	:	بني
الأوراق	:	٢٢٢
المقاس	:	٢١ × ١٥ .
السطور	:	٢٧ .
تجليد	:	أصلي .

٢ ـ المخطوط «ب» :

هو كتاب غلبت على كتابته أخطاء الرسم . ويمكن أن يتجاوز عن هذا الأمر لولا التداخل والاضطراب الذي أحدث على ترتيب الأوراق . والمرجَّحُ أنّ المخطوط سقط فتبعثرت أوراقه وأرجع بطريقة غير سليمة جعلت صفحاته مشوشة وغير منظمة . ولهذا الاعتبار فإن الإفادة من المخطوط عسيرة خاصة في الأوراق الأولى .

ويوجد هذا المخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية (رصيد المكتبة الوطنية) تحت رقم : ٦٠٤ .

تاريخ النسخ : ذكر الناسخ ما نصه : «**وكان الفراغ منه في العشر الأواخر من ذي قعدة عام ستة وعشرين وثماني مائة ٨٢٦ هـ على يد الفقير محمد** (...)» .

الخط	:	مغربي بإعجام .
المِدَاد	:	بني .
الأوراق	:	١٨١ .
المقاس	:	٢٠ × ١٣ .
التجليد	:	جديد والمخطوط مرمّم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ النسخ الأخرى :

جاء في الذيل بالصفحة ٦٧٢ من كتاب بروكلمان ، أنه توجد نسخة من كتاب «الإسعاد على الإرشاد» بخزينة جامع القرويين بفاس تحت عدد : ١٥٧٤ ، مع ملاحظة أن هذا الكتاب لم يذكر في الجزئين الجديدَيْن من فهرس«مخطوطات خزانة القرويين»[٧٦] والمتوفرين بدار الكتب الوطنية ، ولا في «البرنامج»[٧٧] الخاص بهذه المكتبة .

وعلى كل اعتمدنا على النسختين الموجودتين بدار الكتب الوطنية وحسبنا ما أفدنا به منهما .

الهوامش

٣١ ـ «شجرة النور» لمخلوف ـ ج ١ / ١٢٧ .

٣٢ ـ المرجع السابق ـ ج ١ /١٩٠ .

٣٣ ـ المرجع السابق ـ ج ١ /١٤٤ .

٣٤ ـ «ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية» لحسن حسني عبد الوهاب ـ ج ٣ / ٦٢ .

٣٥ ـ شجرة النور ج ١ / ١٦٨ .

٣٦ ـ شجرة النور ـ ج ١ / ١٦٨ .

٣٧ ـ «الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية» لابن القنفذ ـ ص ١٠٥ .

٣٨ ـ ورد في «الفارسية» ص ١٠٥ أن البرجيني قد توفي سنة اثنتين وستمائة ٦٠٢ هـ ـ ولكن المتتبع للأحداث التي يصفها المؤلف والتي حدها سنتا ٦٦١ هـ و ٦٦٣ هـ يدرك تسرب خطإ مطبعي سقطت بموجبه عبارة «وستين» من اثنتين وستمائة .

٣٩ ـ ورقات ـ ج ٣ / ٦٣ .

٤٠ ـ شجرة النور ـ ج ١ / ١٩١ .

٤١ ـ الجزء الثالث ـ ص ٦٤ .

٤٢ ـ «الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد «هو كتاب في أصول الدين لامام الحرمين أبي المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ـ أنظر : كشف الظنون ج ١ / ٦٨ .

٤٣ ـ «التلقين في الفروع» للقاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ ـ المرجع السابق ج ١ / ٤٨١ .

٤٤ ـ وضعت تآليف كثيرة في «الأسماء الحسنى» وتعدّدت شروحها ولهذا السبب لم نتمكن من تحديد هوية التأليف المشار إليه .

٤٥ «العقيدة البرهانية» : كتاب في العقائد لأبي عمرو عثمان السلالجي (د . ت) ، المرجع السابق ج ٢ / ١١٥٨ .

٤٦ ـ «الأحكام الكبرى» ومختصره «الأحكام الصغرى» : وهما كتابان في الحديث لعبد الحق الإشبيلي المتوفّى سنة ٥٨٢ هـ ـ المرجع السابق ١٢ / ٢٠ .

٤٧ ـ «المفصّل» هو كتاب معروف في النحو لمحمود بن عمر الزمخشري المتوفّى سنة ٥٣٨ هـ ـ المرجع السابق ج ٢ / ١٧٧٤ .

٤٨ ـ «الجمل» : عنوان لكتابين مختلفين في النحو أحدهما لعبد الرحمان الزجّاجي المتوفّى سنة ٣٣٩ هـ والآخر لعبد القاهر الجُرجاني المتوفّى سنة ٤٧٤ هـ .

٤٩ ـ «منهاج الأدلّة» : يبدو أنه كتاب لابن رشد المفيد المتوفّى سنة ٥٩٥ هـ .

٥٠ ـ «التفسير الصغير» لابن عرفة برواية البسيلي : أنظر النسخة المرقومة ـ الصفحة ٣٠ تحقيق : محمد بن عكير .

٥١ ـ أنظر الصفحة ٢٣ من الفهرس الصادر بفاس سنة ١٩١٧ ـ اعداد : بيل .

٥٢ ـ أنظر التعريف الذي ذكره الغرناطي في وجه الورقة ١٠٦ من المخطوط : ٢٠٠٧٣ .

٥٣ ـ شجرة النور ج ١ / ١٢٧ .

٥٤ ـ ظهر الورقة ٢٠٩ من المخطوط «أ» .

٥٥ ـ ظهر الورقة ١٤٤ من المخطوط «أ» .

٥٦ ـ وجه الورقة ١٤٦ من المخطوط «أ» .

٥٧ ـ شجرة النور ج ١ / ١٢٧ .

٥٨ ـ المُقَدِّمة لابن خلدون ص ٨٣٥ .

٥٩ ـ تاريخ الدولتين للزركشي ـ ص ٢٨ .

٦٠ ـ الأعلام للزركلي ج ٦ / ٦ .

٦١ ـ هو مخطوط بدار الكتب الوطنية تحت الرقم : ٤٨٥١ ـ انظر على سبيل المثال وجه الورقة ٢٥٧ ووجه الورقة ٢٧٤ إلخ ..

٦٢ ـ الأعلام ج ٦ / ٣٤٩ .

٦٣ ـ هو مخطوط بدار الكتب الوطنية تحت الرقم : ١٠١١٠ ـ أنظر على سبيل المثال وجه الورقة ١٦٦ ووجه الورقة ١٨٤ وكذلك ظهر الورقة ١٩٢ إلخ ..

٦٤ ـ هو الشرح الوحيد الذي ذكره صاحب كشف الظنون . أنظر ج ١ / ٦٨ .

٦٥ ـ أنظر على سبيل المثال الرسالة الأولى من المخطوط : ٢٠٠٧٣ .

٦٦ ـ انظر على سبيل المثال المخطوط الذي بدار الكتب الوطنية تحت الرقم : ١٢٩ .

٦٧ ـ انظر المخطوط الذي بدار الكتب الوطنية تحت الرقم : ١٨٥٨٦ .

٦٨ ـ وجه الورقة ١٠٧ من المخطوط «أ» .

٦٩ ـ تحـ . محمد يوسف موسى وعبد المنعم عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٠ .

٧٠ ـ وجه الورقة ١٠٩ من المخطوط «أ» .

٧١ ـ من أثناء فصل «الجنة والنار مخلوقتان» ـ انظر ظهر الورقة ٢١٤ من المخطوط «أ» .

٧٢ ـ من أثناء باب «القول في إثبات النبوة» ـ انظر الورقة ٢٠٠ من المخطوط «أ» .

٧٣ ـ من أثناء باب «القول في إثبات النبوة» ـ انظر ظهر الورقة ٢٠٠ من المخطوط «أ» .

٧٤ ـ من أثناء باب «القول في خلق الأعمال» ـ انظر ظهر الورقة ١٨٢ من المخطوط «أ» .

٧٥ ـ وجه الورقة ٢٢١ من المخطوط «أ» .

٧٦ ـ إعداد : محمد العابد الفاسي .

٧٧ ـ إعداد : بيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التبشير في منطقة الخليج العربي

دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي لعبد المالك التميمي

ابراهيم إسحق ابراهيم

التميمي ، عبد المالك خلف / التبشير في منطقة الخليج العربي : دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي.ـ الكويت : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ١٩٨٢ م ، ٣٣٤ ص .

هل كان أصل الكتاب رسالة أكاديمية ؟

رغم أن الكاتب لا يشير في التمهيد لكتابه إلى الظروف المحيطة بإخراج هذه الدراسة المدققة إلا أن التمعن في الدراسة ذاتها قد يقود إلى الظن بأنها نشأت أصلاً كرسالة أكاديمية . وأولى المبررات لهذه الظنون هي الصلابة التي انطبع بها نقاش التقسيمات والتفريعات في الموضوع ، ويبدو كأن المتحكم في هذه الصلابة هو الاحتراز على الجدل اللازم لإثبات «أطروحة» تمثل صلب الدراسة وكذلك الحرص كل الحرص على التقيد باتجاهات التحليل ، كل ذلك دونما خروج بالموضوع إلى ما لا يلزم له أو التقصير عن إيفاء بعض الجوانب المكملة للنقاش حقها في جلاء بواطنها .

والمبرر الثاني للظن المتقدم هو التكرار الحصيف الذي قد ينبع من حاجة الأكاديميين لاستدراك النقاط الهامة التي تسبق أو تلحق بفقرات نقاشهم . وهذا التكرار قد يعد حسنة كبرى حينما يوجد ليساعد في تبسيط المادة الأكاديمية واستخراجها من إطارها التخصصي عند تقديمها لجمهور عريض مهتم بالموضوع . وهنالك إلى جانب هذه النقطة قيام الكاتب في مرحلة «التحضير» لدراسته بإجراء أبحاث ميدانية بالخليج العربي والولايات المتحدة الأمريكية مع بعض الشخصيات المعاصرة للأحداث التي يرويها . وتحتوي هذه الأبحاث الميدانية على مقابلات عدة الهدف منها هو استكمال مصادر البحث وسد ثغراته بافادات المشافهة .

كذلك يقع في هذا الحيز من اهتمامنا بالجانب الأكاديمي لهذه الدراسة ظن غالب يؤشر إلى أن الكتاب قد أعد أساساً باللغة الإنجليزية ثم ترجم من بعد إلى العربية ترجمة رائعة . ولعلنا نحسن التعبير إذا قلنا أن الدراسة قد أعيد كتابتها باللغة العربية . والداعي لهذا الظن هو أن مراجع البحث ، عن بكرة أبيها كما يقولون ، جاءت باللغة الإنجليزية ، وهذا يوحي بأن الكاتب قد أغفل تماماً ، وربما عن قصد ، الإشارة إلى كل ضروب التعبير باللغة العربية عن ردود الفعل بمنطقة الخليج العربي لعملية دينية خطرة دامت في المنطقة خمسة وثمانين عاماً . وصعوبة هذه النقطة تصدر عن الإيهام المستبطن في الاستعانة بالمراجع الإنجليزية وحدها لمعالجة موضوع هو في الأساس محلي الطابع . وهذا الإيهام قد يوحي لقارىء الكتاب في لغته العربية بأن المسلمين العرب بمنطقة الخليج لم يسجلوا كتابة على الإطلاق موقفهم من التبشير بالمنطقة . وهكذا لا تبقى إلا تقريرات المؤلف عن

طرائق تفاعل الجماهير العربية المسلمة تجاه هذا الغزو الديني . وهذه النتيجة ، حتى لو اعتمدت في تبريراتها على تفشي الأمية في تلك المدد بالمنطقة العربية عامة ، لا يجوز قبولها حتى يتم الإثبات الفعلي لافتقارنا كلياً إلى تلك الإشارات المحلية للتبشير في مجمعات الارشيف العربي .

هذه الملاحظة الأخيرة تقودنا إلى السؤال : هل افتقدت الدراسة الاعتماد على أقل ما يمكن من المراجع باللغة العربية بسبب أنها كتبت في محيط ثقافي غربي ، مثلاً إحدى جامعات بريطانيا أو أمريكا الشمالية ؟ وهذا السؤال تسنده هوامش المؤلف الدالة على مراجعه . فإحالة الكاتبُ القارىءَ لآية « والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً» في سورة مريم / ٣٣ بالفصل الأول من الكتاب تقود القارىء إلى ترجمة المستشرق آربري لمعاني القرآن ، فكيف يسوغ أن يحيل كاتب عربي مسلم قارئه العربي المسلم إلى النسخة الإنجليزية من ترجمة معاني القرآن الكريم حينما يكون موضوعهما هو آية قرآنية مقدمة في صيغتها العربية ؟ ويدفع بهذه الملاحظات نحو التأكيد استخدام المؤلف في الهامشة رقم ٤١ من الفصل الأول لحروف لاتينية حتى يحيل القارىء إلى طبعة للمصحف الشريف أعدت في القاهرة عام ١٣٤٢ هـ .

ليست هذه النقاط موجهة في باب المطاعن ولكنها تجيء في محاولة منا للوصول إلى الظروف المحيطة بإعداد هذه الدراسة ، وهي ظروف تتماسك ولا تنعزل مكوناتها عن بعضها البعض . أما خروج هذا البحث في لحظة من لحظات النمو الشامل للنهضة الإسلامية المعاصرة ووعيها بمكائد الكنيسة المسيحية ضد الإسلام فهو أمر جد موفق . فالمتدبر لهذه التطورات التدريجية لأساليب عداء المسيحية الرسمية للإسلام والمسلمين ينتقل من لدن آيات المباهلة في القرآن الكريم ويصعد عبر الصراع البيزنطي الإسلامي ، وخلال الحروب الصليبية ، ويعرج على التبشير الحديث الذي تأبطه الاستعمار الغربي في تكالبه على العالم الفقير والضعيف آنذاك . ثم ماذا بعد ؟ أترى تتوقف الصليبية الآن عن مناكفة الإسلام ؟ والجواب بالإيجاب لا يدل إلا على سذاجة المجيب ، وهكذا يفتّح المسلمون كل أحاسيسهم حالياً ليراقبوا سلسلة الألاعيب المستجدة التي تحاول بها الصليبية الحديثة إرسال تأثيراتها إلى بلاد المسلمين في أشكال خفية . فهنالك محاولات إدخال الطعام المحرم على المسلمين إلى أفواههم ، وهنالك رسومات الصليب على البضائع واللعب ، ومعهما إعداد النصارى العاملين في الدول الإسلامية خصيصاً للقيام بالتبشير الخفي ، وأيضاً دعم الجيوب المسيحية في بلاد الإسلام بكل الاحتياجات حتى تستمر في تهديم عقائد وأخلاقيات الأمة ، ومحاربة اللغة العربية والقوانين الإسلامية والسعي لتعطيل المجهودات الرامية لإعطائهما مكانتهما اللائقة بهما في ديار الإسلام . وما هذه جميعاً إلا استدراكات عجالة من بحر زاخر بالتربص .

عن الخلفيات الجغرافية والتاريخية للتبشير المسيحي بمنطقة الخليج العربي

عرض المؤلف في « تمهيد » كتابه للعلاقة بين الإمبريالية وبين أجهزتها المساعدة مثل التبشير المسيحي ، وكيف استخدم المبشرون الخدمات الإنسانية كالطب والتعليم مدخلاً لقلوب الناس بمناطق تبشيرهم . ثم أوضح بعدئذ اقتصار دراسته على مؤسسات التبشير البروتستانتي البريطاني والأمريكي نسبة لاعتمادهما في الحبوة التي لقيتها مؤسساتهما الفرعية بالخليج العربي على نفوذ هاتين الدولتين بالمنطقة ما بين أواخر القرن التاسع

عشر ومنتصف القرن العشرين . ويختم المؤلف هذا القسم بالسؤال الذي حاولت الدراسة الإجابة عليه وهو : كيف قامت هذه المؤسسات التبشيرية بمنطقة الخليج العربي ، وما هي الوسائل التي اتبعتها ، ثم ما هي طبيعة النشاط السياسي للمبشرين ، ولماذا فشلوا في عملهم بالمنطقة ؟ .

نُعنى في هذا القسم من المراجعة بالفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب . أما الفصل الأول فيستهله عبد المالك التميمي بالنظر في الآمال التي علقها التبشير المسيحي الغربي على تاريخ المسيحية في جزيرة العرب قبل الإسلام . وهذه الآمال تتبلور خلال القرن التاسع عشر في الحلم بإعادة المسيحية إلى سكان شبه الجزيرة العربية وذلك على حساب الإسلام . وهذا يعني أن الفكر التبشيري المسيحي كان قد توصل إلى رأيين : أولهما هو الاعتقاد في قوة المسيحية وضعف الإسلام أمام جاذبيتها كوسيلة مثالية للخلاص الروحي . وثانيهما هو الثقة المفرطة في أن تاريخ المسيحيين القدامى بجزيرة العرب لم يندثر وبالتالي لا تزال هنالك سوانح مقنعة لإيقاظ ضمائر سكان المنطقة حتى يرجع إليهم اليقين المسيحي . وكانت المعلومات المغلوطة عن تبشير بولس تلميذ المسيح في الجزء الشمالي من بلاد العرب إبان زيارته لدمشق ومناطق أخرى حولها ، كذلك انتشار المذهب النسطوري المسيحي في أطراف العراق وأجزاء من عمان والاحساء وقطر بعد القرن الرابع الميلادي كل هذه ساعدت على تضخيم تاريخ المسيحية بالمنطقة وتفخيم احتمالات عودتها إلى السيطرة هناك .

بعد ذلك يسرد الكاتب دور المذهب السيرلي المسيحي الذي دخل إلى جنوب الجزيرة العربية من الحبشة وكيف قام هنالك صراع بين اليهودية والوثنية والمسيحية . فكلما انعدم النفوذ الفارسي زادت القوة المسيحية واستطاعت أن تضغط على الوثنية الجاهلية بشبه الجزيرة . ويبدو أن قمة هذا الصراع هو غزو أبرهة لمكة ومحاولته هدم الكعبة حتى يرغم العرب على اتباع المسيحية . لكن ميلاد الإسلام في وسط الجزيرة العربية لم يمهل تلك المخططات المسيحية الرامية لابتلاع شبه الجزيرة العربية عن طريق غزوها من الشمال والجنوب والشرق .

ويعرج عبد المالك التميمي على مواقع الخلافات العقائدية والفكرية والتاريخية بين المسيحية والإسلام فيبدأ بصورة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم . هنا يكاد النزاع كله ينشأ من النظرة المختلفة لميلاد وموت ومعجزات ، وبالتالي طبيعة السيد المسيح ، عند المسلمين والنصارى ، وليس من داع للإغراق في هذه التفاصيل ، فمؤلفات علمائنا الأوائل مثل ابن حزم وابن تيمية وابن القيم في دحض لا منطقية التثليث المسيحي وتوابعه شافية وكافية . والحد بعيد فإن هذا النقاش من الكاتب لوجهة النظر الإسلامية عن شخصية المسيح الرسول تبدو مهمة عند متابعة تاريخ التبشير المسيحي في العالم الإسلامي . فالمبشرون عادة يبدءون حوارهم مع المسلمين من الآيات الواردة في القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام . ويتلو ذلك التأويلات الملتوية منهم لهذه الآيات سعياً وراء التوفيق بين المعتقدين وترجيح الكفة المسيحية حتى يقتنع بها المسلمون .

أما في الجزء الأخير من الفصل الأول فيعرض المؤلف للحروب الصليبية البادئة في القرن الحادي عشر الميلادي ومكانتها كامتداد للصراع الإسلامي البيزنطي وارهاص بزيادة الدوافع السياسية والاقتصادية وراء الغزو الاستعماري التبشيري للعالم الإسلامي بعد القرن السادس عشر الميلادي . ويؤكد عبد المالك التميمي أن

العداء للإسلام لم يمت قط في نفوس المسيحيين وبذلك حافظت تحاملاتهم ضد الإسلام على نبرة واحدة حادة هي النظر إلى المسلمين على أنهم «كفار ووثنيون» . ومن هذا التقييم المجحف لاعتقادات المسلمين يولد الواجب المسيحي في إدخالهم إلى عالم الروح المسيحية . ويبدو للمتمعن في هذا القسم من تأريخ عبد المالك التميمي للعلاقات المسيحية الإسلامية أن الدور الصليبي للبرتغال في الشرق الأوسط بعد القرن السادس عشر الميلادي لم يلق الاهتمام الذي يستحقه . ويقفز المؤلف من الحروب الصليبية وما خلفته من إشكالات معقدة إلى اتجاه التبشير المسيحي في القرن التاسع عشر الميلادي للإحتماء بالقوى الاستعمارية الغربية حتى يتسلل إلى بلاد الإسلام .

يرى عبد المالك التميمي أن عصر النهضة في أوربا وحركة الإصلاح الديني المسيحي هناك وما نتج عنها من انشطار كاثوليكي بروتستانتي والتوسع الصناعي والسياسي الأوربي الناتج عن الثورة الصناعية ، كل هذه اشتركت في صياغة مقومات التبشير الحديث فيما وراء البحار . ويلاحظ التميمي أن البروتستانت قد أفلحوا في مضاعفة اعداد مبشريهم والتحلل من قيود المؤسسات التي تعطل التبشير الكاثوليكي ، وبذلك تفوقوا عليها في إنتشار عملياتهم بالمستعمرات ومناطق النفوذ الغربي ، ثم إن الكنيستين قد اختلفتا أساساً في الهدف من التبشير . فبينما يكترث الكاثوليك للكيفية دون الكمية ، ما يهتم البروتستانت إلا للكمية ، وهدف هؤلاء الأساسي هو تكثير أتباع المسيح بأى شكل وهيئة في أنحاء العالم .

وقد أنتج الإئتلاف الاستعماري التبشيري كما يلاحظ عمر فروخ في مؤلفه الكلاسيكي في هذا الموضوع توسعاً للنفوذ الغربي في بلاد الإسلام تعددت جوانبه وذلك بعد اندحار القوة العثمانية بالشرق الوسيط . فمنذ مطالع القرن الثامن عشر وضع التبشير المسيحي أقدامه على الشام وتعددت هناك مدارسهم ومعاهد اللاهوت التابعة لهم ونشروا كتبهم الدينية في أوساط مسلمة وكان الكاثوليك قد سبقوهم ، ثم تبعتهم الإرسالية الأمريكية البروتستانتية في القرن التاسع عشر . ولهذه الأخيرة مراكز في مالطة وبيروت وفيما بعد بالقاهرة أما في شبه الجزيرة العربية فقد وجدت محاولات فردية من عدة كنائس ، فيها الأسكتلندي والانجليزي والأمريكي ، لتوزيع الكتاب المقدس في بلاد العرب والقيام برحلات استطلاعية للبلاد منذ عام ١٨١١ والكنيسة الأسكتلندية قد بدأت التبشير في عدن منذ عام ١٨٨٥ م . وأخيراً قررت الإرسالية العربية الأمريكية التابعة لكنيسة الإصلاح الهولندية في أمريكا أن تقوم بالتبشير في الخليج العربي وشبه جزيرة العرب عامة منذ عام ١٨٨٩ .

ذهب الكاتب في الفصل الثاني لإيضاح الموقع الجغرافي والمناخي لمنطقة الخليج العربي وربط كل ذلك بالتوابع المنطقية لهذا الوضع . فالبرتغال اكتشفوا طريق الهند في القرن السادس عشر الميلادي وساقهم ذلك للوصول إلى الخليج العربي وإقامة قاعدة في مضيق هرمز ذي الأهمية الاستراتيجية ، ولما بدأ التنافس بين القوى الاستعمارية الغربية في القرن التاسع عشر صار هذا الممر المائي الهام أحد محاور الصراع على الإستراتيجيات ، ثم إحتكرت بريطانيا السيطرة على الخليج العربي حتى تم إكتشاف النفط ، وتعتبر الجزيرة العربية بأكملها أحد الأسواق الهامة للمنتجات الغربية ومن هنا أيضاً تأتي أهميتها .

حددت هيئة مكونة من أربعة رجال عام ١٨٨٩ نوايا الإرسالية الأمريكية في منطقة الخليج العربي فقالوا بأن هدفهم هو تنصير سكان شبه الجزيرة العربية . وقد

كانوا يعتقدون أن الطريق أمامهم سالك نسبة لما سبق من وجود المسيحية قبل الإسلام في المنطقة. أما ما يلفت النظر بحدة فهو ورود فقرة في خطة عمل الإرسالية الأمريكية (الملحق الأول للكتاب) تقول بجواز عملهم في الجزيرة العربية أو في أعالي النيل . فما هي الخواص التي اهتم بها مؤسسو هذه الإرسالية وموجهوهم بأمريكا حتى ميزوا هاتين المنطقتين ؟ ولنترك محاولة الإجابة على هذا السؤال إلى القسم الرابع من مراجعتنا .

وبشأن الجزيرة العربية ، كانت الإرسالية تعتقد أن عدول أهلها إلى المسيحية ، إذا ما تم ، فسيكون نقطة تحول كبرى في الصراع بين المسيحية والإسلام . ويبدو أن كبار المبشرين بالإرسالية قد تحركوا خلال عام ١٨٨٩ بين كنيسة اسكتلندا الحرة في عدن والإرسالية المتحدة بالعراق والمجلس المسيحي للشرق الأوسط وجمعية الكنيسة التبشيرية . وذلك لجمع المعلومات الكافية عن الخلفيات الجغرافية والاجتماعية والدينية عن بلاد العرب .

ومع هذا الاحتياط فإن نقص المعلومات ساق إلى وقوع الإرسالية من بعد في متاعب كثيرة مع الطقس والمناخ الديني والوضع اللغوي . وكانت مما ضللتهم افتراءات الجنرال هيج في تلخيصه لوقائع وانطباعات رحلته إلى شبه الجزيرة العربية حينما ادعى أن البلاد مهيأة لاستقبال الكتاب المقدس . ويبدو أن علة تفاؤله المغلوط هذا هو ما لاحظه والمبشرون من بعده من تفشي الأمية في المنطقة أيامئذ . فكان أن فسّروا ذلك على احتمال مصاحبته لضعف في إيمان القوم . وزاد التباعد بين المبشرين وأهالي البلاد عدم تمكن المبشرين من اللغة العربية ، وسيلة التفاهم هناك ، وأيضاً ما شهده المواطنون من صلات بين الدوائر الرسمية البريطانية والأمريكية في المنطقة وبين المبشرين ، ففسروا ذلك ، عن صواب ، على أنه دلالة على تورط التبشير سياسياً .

تحركت الإرسالية العربية من بيروت إلى البصرة حيث جاوروا القنصلية الأمريكية فيها حتى يكونوا تحت حمايتها . وقد كان المبشرون يتوقعون الدخول في مشاكل مع السلطلة التركية الإسلامية بالعراق . بعد ذلك زاروا معظم موانىء الخليج العربي ومناطقها الداخلية القريبة فنزلوا إلى مسقط والبحرين والاحساء والكويت . وهذه كانت مرحلة إستكشافية . فلما أسسوا محطة البصرة عام ١٨٩١ واجهوا معارضة شديدة من أهلها المسلمين وعداءً من السلطات التركية . ثم إنهم أقاموا مكتبة لتوزيع الكتاب المقدس وبنوا مستشفى هناك عام ١٩٠٩ . وهذه الأنشطة استمرت بالبصرة بدرجات متفاوتة حتى أغلقت الثورة العراقية عام ١٩٥٨ محطاتهم وتم تسليم مؤسساتهم للإرسالية المتحدة بالعراق .

واعتبرت البحرين الموقع الوسط بين البصرة ومسقط . وكانت منطقة نفوذ متعدد للقوى الغربية والإيرانيين من جانب والقبائل العربية من جانب آخر ، ثم هيمنت عليها بريطانيا عام ١٩٢٠ . هنا وصل المبشرون عام ١٨٩٢ وأقاموا مكتبة للكتاب المقدس عام ١٨٩٣ ثم تلا تلكم المستشفى عام ١٩٠٢ وآخر عام ١٩٢٦ والمدرسة أيضاً . وقد صارت هذه المحطة قاعدة لعمل الإرسالية في المنطقة بعد زوال أهمية محطة البصرة عقب الحرب العالمية الأولى . ومما يسوق إلى تمييز البحرين أنها كانت منطقة شبه مفتوحة وكانت محمية بريطانية ، الشيء الذي أعطى للمبشرين شعوراً بالأمان السياسي .

وساق الامتداد جنوباً حركة التبشير إلى مسقط التي اهتموا بها نسبة لسيطرتها على الطرف الجنوبي من الخليج العربي . وكذلك لأهمية الدور التاريخي للعثمانيين في شرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إفريقيا . وهكذا تجيء المؤشرات مرة أخرى إلى ترابط ترصد التبشير المسيحي بالإسلام ومحاولة إطفائه في جزيرة العرب واحتوائه في إفريقيا . وقد سرد المؤلف هنا تاريخ الدعوة الإسلامية وارتباطها بالتجارة والتزاوج والتأثير اللغوي في شرق إفريقيا ومحاولات الصليبية الغربية المستمرة لقهر ذلك التوسع الإسلامي العربي . ثم يوضح عبد المالك التميمي الفارق الملحوظ بين قبول المناطق الإفريقية عامة للتبشير المسيحي ونجاحه فيها وبين العكس الذي يحصل من فشل للمبشرين في بلاد العرب .

وعن ترابط مجهودات التبشير العالمي ضد الإسلام في الديار العربية والإفريقية يورد المؤلف مناشدة للقس الإكسندر ماكي أحد رواد التبشير بأوغندا يؤكد فيه مراراً على ضرورة إنشاء مراكز للتبشير في مسقط حتى تخدم مقاومة المسيحية لقدوم الإسلام إلى شرق إفريقيا . بل إن هذا القس يذهب بنفسه إلى مسقط عام ١٨٩١ ويموت هناك . وبعد عامين من ذلك التاريخ زار بيتر زويمر من الإرسالية العربية الأمريكية مسقط واتخذ في المدينة بائعاً لكتبهم المقدسة . ويبدو أن المبشرين قد إغتروا بقبول الناس للكتاب المقدس فاعتبروا ذلك فتحاً للمسيحية وتكلموا في تقاريرهم عن «إحتلالها» للمنطقة . لكن عبد المالك التميمي يعلل لهذا الوهم بمسألة واحدة هي أن الأهالي كانوا في حاجة لقراءة أى شيء . وكان يجدر بالمؤلف ملاحظة والإشارة إلى أن الكتاب المقدس كان يقرأ في بلاد الإسلام كإسرائيليات غير يقينية من عهود مبكرة جداً . وهذا النوع من الأدب الديني ظل متفشياً في الأوساط الثقافية للمسلمين منذ العهد النبوى لكنها لم تؤثر على إيمان المسلمين ولم تقلبهم يهوداً أو نصارى .

في مسقط كان مبشرو الإرسالية العربية في حماية القنصل الأمريكي هناك . وفي عام ١٩٠٨ ابتنوا مدرسة في المدينة حيث استعملوا جزءاً منها كمستشفى ومن مسقط فكروا في الكويت . فجاءت زيارتهم لها في العامين ١٩٠٠ و ١٩٠٣ ، وفي التاريخ الأخير افتتحوا بها مكتبة للكتاب المقدس . لكن المقاومة الدينية للتبشير بالكويت نجحت في إصدار مرسوم من حاكم الامارة الشيخ مبارك وأدى هذا لقفل المؤسسات التبشيرية فيها عام ١٩١٠ . أما ما جّد في عام ١٩١٠ حتى أعاد التبشير المسيحي للمنطقة فهو طلب الشيخ مبارك لدكتور بينت من رجال الإرسالية للحضور إلى قصره وعلاج ابنته . وقد لفت هذا أنظار الشيخ مبارك للدور الطبي للإرسالية وعدم ضرورة إرتباط ذلك الدور بأى مفعول خطير للتبشير في بلاده فمنح المبشرين حق إدخال الخدمة الطبية الحديثة إلى وطنه .

وهكذا بُني مستشفى الإرسالية في الكويت عام ١٩١٣ وأعد مستوصف خاص للنساء عام ١٩٢٠ . ولما كانت المقاومة الإسلامية في الأمارة ضد التبشير المسيحي عنيفة ولم تتوقف قط فقد اعتمدت الإرسالية في أحايين كثيرة على الخدمة الطبية فحسب وأوقف النشاط التبشيري الرئيسي تجنباً للمصادمة مع المعارضة . وقد بلغت هذه الاحباطات للمبشرين غايتها عام ١٩٦٧ عندما أضطرت الإرسالية للتخلى كلياً عن عملياتها بالكويت .

إلى جانب هذه المحطات التبشيرية الرئيسية أقامت الإرسالية العربية محطات فرعية في بلدة العمارة على نهر دجلة عام ١٨٩٥ وأخرى في الناصرية الواقعة على الفرات . واتّبعوا هذه بمكتبتين فيهما للكتب الدينية المسيحية . ورغم أن العمل بهما قد توقف أثناء الحرب العالمية الأولى إلا أنهما زاولتا نشاطهما عام ١٩٢٠ . لكن الأحداث السياسية الداخلية في العراق لم تمهل

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.co

المبشرين كثيراً . وانتهى عملهم بها وبالبصرة بالثورة العراقية عام ١٩٥٨ . كذلك أقام مبشرو الإرسالية العربية محطة فرعية في مطرح الواقعة في العمق العماني . وقد جاء انتصار المبشرين على مقاومة الحاكم العماني لهذا المشروع من ضغط سياسي شديد قام به القنصل الأمريكي في مسقط .

أما في قطر فقد تأخرت مساعي الإرسالية العربية ولم تذهب بعثتها الطبية إليه إلا عام ١٩٤٥ . وتم بناء مستشفى الإرسالية بقطر عام ١٩٤٧ . لكن خدمتهم في الأمارة لم تتعد عام ١٩٥٢ . ويظهر أن النقص في التمويل وفي اعداد الهيئة الطبية العاملة بالقدر الذي يكفي لكل المحطات والفروع التبشيرية كان وراء فشل أعمال الإرسالية في قطر وفي بلدة الزبير بجنوب العراق .

ونختم هذا القسم كما يفعل المؤلف في فصله الثاني بمتابعة مؤشرات الترابط التبشيري في أنحاء العالم الإسلامي . فالإرسالية العربية . رغم كونها أضخم المؤسسات التبشيرية العاملة في المنطقة ، اعتمدت على مساعدات جمة في مجالات تدريس اللغة العربية وتوفير المعلومات اللازمة عن حقل عملها وفي الطباعة ، وقد جاءتها المساعدات من الإرساليات المحلية . كانت هناك إرسالية كيث فوكنر بعدن والإرسالية المتحدة بالعراق والكنيسة التبشيرية ببيروت وجمعية الكنيسة التبشيرية البروتستانتية المصاحبة للنفوذ البريطاني بالخليج العربي وعدن . وكانت لهؤلاء الأخيرين محطة بواحة البريمي في أبو ظبي . وكذلك مدت الكنيسة المسيحية في لبنان وإيران يدها للإرسالية العربية .

ثم بعد خمسة وثمانين عاماً من العمل بالخليج العربي اتخذ مؤتمر الكنيسة الاصلاحية بأمريكا عام ١٩٧٣ قراراً بسحب مسئوليتها رسمياً وتمويلياً عن الإرسالية العربية والغائها . وبذلك انتقلت مؤسساتها بالخليج العربي للإرساليات الأخرى الباقية هناك أو خضعت للتنظيمات الحكومية . ويتضح أخيراً أن الكنيسة الأم قد شعرت باقتصار عمل الإرسالية على تقديم الخدمات الطبية والتعليمية وفشلها في الجانب التبشيري . وربما وعتْ الجهات الموجهة لهذا النشاط بعدم جدوى الاستمرار في العمل بالمنطقة كلياً . وحتى في مجال الخدمات الطبية والتعليمية ، فإن التطور السريع بالمنطقة في السنوات العشرين الأخيرة جعل مؤسسات الإرسالية العربية غير قادرة على منافسة المستشفيات والمدارس الحكومية المتزايدة .

أدوات التبشير المسيحي ومسألة نقاط الضعف الحقلية

حينما ينشأ التساؤل : لماذا يقدم المبشرون لأعمالهم بالخدمات الطبية ، تأتي اجابتهم بأن المسيح عليه السلام كان معلماً ومداوياً . ويمثل الفصل الثالث في هذه الدراسة تفنيداً تدريجياً لهذا المقصد الذي يزعمه المبشرون . فالعلاج الطبي ليس أكثر من أحد المداخل إلى قلوب الأهالي في منطقة تفتقر للطب الحديث مثل الخليج العربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . فمن رأي الراعي الأول للإرسالية العربية القس صموئيل زويمر : «إن المبشر لا يكتفي بتطوير المستشفيات حتى ولو غطت خدماتها جميع أطراف الاقليم . إن الهدف من وجودنا في الجزيرة العربية هو أن نجعل من الرجال والنساء مسيحيين» ص ٨١ . وحينما وضح لسلطات الإرسالية العربية أن الطبيب ريجز ، الذي جاء للخدمة في مستشفى البصرة عام ١٨٩٢ ، رغم كفاءته ، لا يؤمن بألوهية المسيح ، استغنوا عن خدماته وأعادوه على الفور إلى الولايات المتحدة حتى لا يؤثر في تبشيرهم تأثيراً عكسياً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعترف المؤلف بأن الإرسالية الأمريكية ، رغم سوء قصدها ، قدمت للمنطقة في أحلك أوقاتها خدمات كان الخليج العربي فى أشد الحاجة إليها . فالأوبئة مثل الجدري والأنفلونزا والحصبة والسعال الديكي والكوليرا والطاعون تكرر طروقها للاقليم عدة مرات في الأعوام الثمانين التي مكثتها الإرسالية الأمريكية في الخليج العربي . وكان هنالك من الأمراض الشائعة التراكوما والسل والأمراض المعوية والتناسلية وأوجاع المسالك البولية والملاريا والجذام . ولم يكن الطب الشعبي مع الطب الخرافي (الزار) ليوفرا النجدة للناس إلا قليلًا ، وربما فقط في حقل التعلية النفسية للمريض . أما العلاج الديني فقد كان يبذل جهداً كبيراً . لكن الجهل بالجانب الوقائي من المطالب الصحية لا يعينه على النجاح الواسع . فلما سعى الناس بتزايد مستمر لقبول المعالجة الطبية في مستشفيات الإرسالية اعتقدت الإرسالية وكنيستها الأم أن ذلك التصرف يدل على اقتناع المواطنين بصدق المسيحية . ورغم أن الخليج العربي قد سمح بضرب من التبشير راكز على قاعدة قوامها تقديم الخدمات الطبية والتعليمية للأهالي المحتاجين إليها بشدة ، إلا أن البلاد التي أصبحت من بعد المملكة العربية السعودية ، ممثلة في عاهلها عبد العزيز بن سعود ، لم تسمح للمبشرين بالمكوث في أراضي العمق من الجزيرة العربية .

تحت ستار العلاج الطبي قام القسس بترغيب المسلمين بالخليج العربي في المسيحية . وكان زويمر يباشر عمله التبشيري بين المرضى يومياً فيقرأ عليهم مقتطفات من الإنجيل كما يناقش معهم تعاليم الدين المسيحي . بل وذهب بعض المبشرين لزيارة المرضى الذين غادروا المستشفى في بيوتهم . لكن المعارضة الدينية في الكويت سعت لاستصدار مرسوم حكومي يمنع امتداد التبشير إلى بيوت المسلمين . هذا وقد كشف المؤلف في خارطة لشبه الجزيرة العربية (ص ١٤٥) خطوط رحلات هؤلاء الأطباء القسيسين الذين ساروا من الخليج العربي حتى حائل والطائف وجدة لأعمال علاجية .

كان التعليم هو الأداة التبشيرية الثانية في الأهمية لدى الإرساليات المسيحية عامة . ولم يصعب على الدعاية التبشيرية أن تستخرج التعليم أيضاً من الإنجيل وتربطه بالعمل المسيحي ، طباً وتبشيراً . ولهذا فقد قالوا إن المسيح كان معلماً . وهكذا يعنى الفصل الرابع من دراسة عبد المالك التميمي بإبانة الطريقة التى تزوق بها الكنيسة أهدافها التبشيرية الحقة تحت غطاء من الخدمة الإنسانية في مجال التعليم .

وللمرة الثانية لم يواجه المبشرون نداً محلياً في هذا الحقل ، فكتاتيب التعليم التقليدي في المنطقة كانت متواضعة وأثرها محلي بحت . ومع ذلك فإن البيت والمسجد والكتاب ثم المجتمع العريض كانوا يتضافرون جميعاً لمد الطفل والمريض المسلمين بحصانة عالية تحميهما من التغول المسيحي عليهما في مدرسة الإرسالية ومستشفاها . ومن طرف آخر فإن قادة الإرسالية لم يخفوا غرضهم الحقيقي من وراء التعليم ، فالقس هوتون يحدد النقاط التي تراعى في المسألة التعليمية بالإرسالية ويضع على رأس القائمة : «يجب أن يكون الهدف التبشيري غالباً على التعليم» ص ١٦٠ . وتقول دورثي فان إيس من نساء الإرسالية العاملات في التعليم : «وأنا شخصياً لا أرضى أن أقضى خمسة دقائق من حياتي في الشرق وأعلم في مدرسة ما لم يكن التبشير بالديانة المسيحية من صميم المنهج» ص ١٦٩ . ومن هنا فإن مدارس الإرسالية كانت تبعد عن مناهجها كل ما يخص تاريخ المنطقة وفكرها وعقائدها . ويركز في نفس الوقت

على المقررات المسيحية واللغات الأجنبية . لكن هذا كله ، ومعه ثورة المعارضة الدينية ضد التعليم المسيحي ، لم يثن الآباء والأمهات عن إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه المدارس . فالثقة في حصانة الطفل المسلم ضد الاغراءات المسيحية كانت كبيرة . وكانت الطبقة الواعية من التجار والموظفين في شبه الجزيرة العربية وأطرافها يشعرون بحاجتهم إلى تنشئة أبنائهم على شيء من المعارف الحديثة مثل الرياضيات واللغات الأجنبية والجغرافيا حتى يكونوا الأعين التي يطلون منها على ما يحدث في عالم يشهد حربين عالميتين واكتشاف النفط بالمنطقة ويقظة وطنية متشعبة في الديار الإسلامية والعربية .

ثم سعى بعض المستنيرين من المسلمين لتقديم التعليم الحديث لأبنائهم في قالب إسلامي متين فأنشأوا في البحرين عام ١٩١٠ مدرستين هما «مدرسة الاتحاد» و «مدرسة الفلاح» ، وقد غلب على مناهجهما اللغة العربية والدين الإسلامي والحساب . وبعد قليل تم انشاء مدرسة أخرى مشابهة لهما في المحرق . ثم أفتتحت مدرسة أخرى بالبحرين عام ١٩١٩ هي «مدرسة الهداية» ، وقد أستعير معلموها ومناهجها من البلاد العربية مثل سوريا ولبنان ومصر والعراق . فلما جاءت الثلاثينات اجتهدت معظم دول المنطقة في تكوين قاعدة تعليمية حديثة ولم تبخل عليها بالمال فوجد المبشرون أنهم ليسوا في وضع يؤهلهم للمنافسة .

في الفصل السابع من هذا الكتاب ، وفي معرض اعترافه بفضل الإرسالية العربية في مجال الطب والتعليم على شبه الجزيرة العربية خلال خدماتها هناك ، ركز المؤلف على التخلف الحضاري وجعله سبباً لقبول المسلمين في الخليج العربي بالإمتنان المعقول للإرسالية فيما قدمته لهم . وهذا جانب علمي مقدر . ثم ينشأ جانب علمي آخر هو ضرورة التقصي وراء دور التخلف في تمكين الاستراتيجية التبشيرية من الدخول إلى ديار المسلمين . لقد استعملت الإرسالية العربية أداتي العلاج الطبي والتعليم ، واستغلت الوضع المتخلف في الخليج العربي قبل الثلاثينات ، تماماً كما فعلت كل الإرساليات المسيحية في العالم الإسلامي وغير الإسلامي بعد القرن الثامن عشر الميلادي ، لأجل هدف مفرد هو تنصير الأهالي في تلك النواحي . ولعلنا نتلمس هنا ما تولد بعد ذلك من حاجة مستعصية في كثير من ديار المسلمين لخدمات الأوربي والأمريكي في تسيير العجلة التقدمية ، وترصدت المسيحية من وراء تلك الحاجة لدى المسلمين إلى خدمات رجالها ونسائها فكادت للإسلام . عبر هذه الحاجة إلى اليد المسيحية في تدوير مناشط ذات حساسية في بلاد الإسلام يتربص التبشير المسيحي على الدوام بعقائد المسلمين أو أخلاقهم . ولعله لا يبقى بعدئذ لدى المسلمين ، إثر التنبه لما تحيط بهم من مكائد صليبية مستمرة ، غير انعاش مبدأ التعاون بين أطراف البلاد الإسلامية في تقديم الخدمات لبعضها البعض وتكميل احتياجات بعضها البعض في المرافق العامة والخاصة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

التبشير والغزو العالمي لمراكز النفوذ الإسلامي

جاءت الإرساليات المسيحية إلى الجزيرة العربية وإفريقيا وآسيا في دفقة غربية طامحة استهدفت غزو مراكز النفوذ الإسلامي سياسياً ودينياً واجتثاث هذه العقيدة من قلوب أتباع الإسلام . هذا هو ما تقدمه لنا معلومات هامة مثل ورود الخيار بين الجزيرة العربية وأعالي النيل في خطط عمل الإرسالية العربية الأمريكية أوان انشائها ، وكذلك في سعي التبشير المسيحي بإفريقيا الشرقية لوقف تيار الإسلام القادم من جنوب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزيرة العربية ، ذلك الذي يعرقل عملهم في إفريقيا .

أينما وضعت الإرساليات التبشيرية ، في إفريقيا أو آسيا أو شبه جزيرة العرب ، صحب العلاج الطبي ترغيباً في العقائد المسيحية وسيق الطلاب في مدارسهم لصلاة الأحد ، ما لم تمنع الدولة المسلمة ذلك . وعن هذا يقول عبد المالك التميمي ، في الفصل الخامس من دراسته ، أن المرضى في الخليج العربي كانوا يشترون الكتاب المقدس اضطراراً منهم إذ يحتاجون للرعاية الطبية . وقد رسخ في أذهان الأهالي أن مثل ذلك السلوك يضمن لهم ما يحتاجون إليه . فإذا ما نظر المرء في تاريخ الأشخاص الأربعة الذين نجحت الإرسالية العربية في تنصيرهم بمنطقة الخليج العربي طوال خمسة وثمانين عاماً من التبشير هناك لاحظ أن الرعاية الطبية وما يصحبها من اغراءات كانت تمثل حجر الزاوية في الأداة التبشيرية التي أقنعتهم . فعيسى الداوي من الاحساء اعتنق المسيحية في الكويت عام ١٩٢٥ لأنه أهمل من أهله ووسطه الاجتماعي وهو يعاني من مرض خطير فلجأ إلى مستشفى الإرسالية هناك . وفي ضعفه هذا كسبه التبشير المسيحي فعاش معهم مسيحياً ومات عام ١٩٥٠ . ولا تتوفر المعلومات عن مراش بن بلال الذي تنصر في مسقط وتوفى عام ١٩٣٠ فوقع خلاف بين الكنيسة وأهله المسلمين حول طريقة ومحل دفنه ، ولا يعرف للشخص الثالث الذي قيل أنه تنصر في عمان إسم ولا أصل . أما السيدة خيرية حيدر الفارسية الأصل فقد واجهت الفاقة والانعزال الاجتماعي في البحرين وغياب زوجها شبه الدائم في صيد اللؤلؤ ثم مرض أطفالها بالجدرى فلجأت إلى الإرسالية الأمريكية التي كفلتها وعالجت بنيها ثم نصرتها . ويستطيع المتمعن في الأقوال التي تقدمت بها إلى عبد المالك التميمي وهي في الثانية والثمانين من عمرها أنها لم تتنصر عن اقتناع قط ولكن عن حاجة ماسة في المعايش والاجتماع .

أما ما كان من تنصير يتم في الخليج العربي للأطفال الأرقاء الذين أنقذتهم البحرية البريطانية من سفن النخاسة أو أطفال العاملين غير الوطنيين بالمنطقة فهو أمر يصعب تأطيره في الحقل الخليجي . ثم إنهم ، بعد ما ترعرعوا في أحضان التبشير ولم يحمهم إسلام مبكر ، لم يبقوا في الخليج العربي وإنما تبعوا الإرسالية الأمريكية إلى الولايات المتحدة وعملوا هناك .

ونعود إلى المسألة السياسية . يكرس المؤلف الفصل السادس من كتابه لمعالجة الازدواج الخطير بين المساعي الاستعمارية والتبشيرية في الهجمة الغربية على الخليج العربي . ويؤشر هذا إلى اندماج المصالح الدينية والسياسية للغرب في وحدة استراتيجية دامت لأكثر من ألف عام واستهدفت الهجوم على العالم الإسلامي . ومن هنا يحل التبشير المسيحي ضيفاً على السلطات السياسية الاستعمارية بشبه الجزيرة العربية وإفريقيا وآسيا على السواء . وكان التبشير يقدم في مقابل تلك الحماية بعض الخدمات للجهاز الاستعماري . بهذا الاتفاق السري يعترف القس لويس سكدر الابن أحد أعمدة الإرسالية العربية فيقول : «الواقع أن هناك إرتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية . إن فتح العالم أمام الاستعمار قد أتاح الفرصة كذلك للكنائس المسيحية الغربية للتفكير في الإرساليات التبشيرية في البلاد الأجنبية» ص٢٥٢ . وكان طبيعياً في هذا الوضع أن يقاوم المسلمون أينما واجهوا مثل هذا الازدواج في الجهازين ، استعماره وتبشيره .

يرى عبد المالك التميمي أن الإرسالية الأمريكية قد حافظت على توازن صعب بين صراع المصالح البريطانية والأمريكية في منطقة الخليج العربي أوان عملها هناك . وكانت علاقة المبشرين بالسلطات التركية عكس ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تماماً . إذ يبدو التعارض الإسلامي المسيحي واضحاً في المعاملات بين الإرسالية والأتراك . أما في مجال التعامل مع الحكام المحليين فقد سعى المبشرون للملاينة والتدليس حتى لا يضيفوا أولئك الحكام إلى جانب المعارضة الشعبية لعملهم . والمعروف سلفاً هو أن تسلل الخلاف بين الإرسالية والحاكم المحلي يسوق غالباً إلى قفل المناطق الجديدة أمام مجهودات التبشير المسيحي ، وذلك مثلما حدث بين الحاكم العماني والمبشرين في قضية مطرح . وربما أدى ذلك إلى قفل مؤسساتهم كلياً ، كما فعل الشيخ مبارك عاهل الكويت في بداية نشاطهم ببلاده .

ومع ذلك فإن المبشرين قد تعاونوا كثيراً مع الكابتن شكسبير المعتمد البريطاني في الكويت قبل الحرب العالمية الأولى وإن أخفوا ذلك . فقد ذكرت الطبيبة إليانور كالفرلي أن المبشرين كانوا يعقدون اجتماعات متوالية مع كابتن شكسبير ليشرحوا له السياسة الأمريكية تجاه المنطقة . وقالت هذه الطبيبة إن أحد أطباء الإرسالية بالكويت قد صحب طياراً بريطانياً عام ١٩٢٠ لاستطلاع جيش عبد العزيز بن سعود المتحرك نحو الكويت وقام الطبيب بالقاء المنشورات على ذلك الجيش لإثناء أفراده عن الانصياع لأوامرهم . ولم يكتف هذا الطبيب بذلك بل حضر عدة اجتماعات سياسية مع القيادة العسكرية البريطانية بالمنطقة ، وكانت هذه محمولة على ظهر سفينة حربية راسية في المياه الاقليمية للكويت . ثم كان الطبيب بول هاريسون ، من العاملين في قوى الإرسالية الأمريكية ، يعد تقارير سرية للسلطات البريطانية عن الشيوخ المهمين سياسياً في الخليج العربي . وهذا الرجل هو صاحب الاعتراف الصريح بهذا التنسيق الاستعماري التبشيري حينما كتب مرة : «إن أكبر رصيد سياسي للإدارة الاستعمارية في اقليم ما هو سمعة طبيب الإرسالية المقيم . وهكذا فإن الإنجيل ، بما له من تأثير في قلوب المسلمين ، يجب أن يتحمل وزر جميع شرور الاستعمار الغربي . إن المبشر يؤمن في كثير من الأحيان أن الأمل الوحيد للإنجيل هو في حماية الحراب الغربية . وما لم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فإن حياتهم ستكون مهددة ولن يتمكنوا من اعلان الرسالة المسيحية» ص ٢٦٥ .

هذا التورط السياسي للمبشرين جعل الأهالي ينظرون إليهم كعملاء للاستعمار وذلك في وقت اشتعلت فيه الحمية الوطنية بالعالم الإسلامي والعربي . وضمن هذه السلسلة من الازدواج السياسي والتبشيري تنعقد المراسلات الحادة التي جرت بين القنصل الأمريكي في مسقط والحاكم العماني بشأن السماح للمبشرين بافتتاح محطة في مطرح .

هكذا ينضم كتاب عبد المالك التميمي لباقة رائعة من أعمال جادة شمرت السواعد لتنوير العالم الإسلامي حول المخاطر الصليبية التي تحيط به من جهة التبشير المسيحي العلني والخفي . فهنالك إلى جانب كتاب عمر فروخ عن «الاستعمار والتبشير في العالم العربي» دراسة إبراهيم عكاشة عن «التبشير النصراني في جنوب السودان» وأبحاث أحمد عبد الرحيم نصر حول «الإدارة البريطانية والتبشير المسيحي في السودان» وغيرها . ولعل الغد يمنحنا المزيد من الإسهام في هذا التنوير من مناطق أخرى عانت من هذه الغزوات النصرانية ما عانت مثل شرق إفريقيا ووسطها ونيجيريا وشاد ودول المغرب العربي والحبشة وأريتريا والمشرق الأقصى حيث يواجه المسلمون حتى اليوم بأنواع التقتيل والتشريد .

العرض و التحليل

الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد لإبراهيم الفوزان

الفوزان ، إبراهيم بن فوزان / الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد.ـ الرياض : المؤلف ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ٣ ج .

هذا الكتاب في أصله رسالة تقدم به صاحبها لنيل درجة الدكتوراه في الأدب من كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر عام ١٣٩٥ هـ ، وقد اشتملت مادة البحث على سائر فنون الأدب الحجازي ولم يدخر الباحث وسعاً في جمعها واستقصائها والحصول على مراجعها عن طريق ما ظهر منها من كتب ومؤلفات ودواوين أو بالرجوع الى الدوريات وكذلك عن طريق اللقاءات والمشافهات مع معظم أدباء الحجاز . وقد شملت الدراسة الأدب بقسميه الشعر والنثر . وقد تحدث المؤلف عن معاناته في سبيل وضع هذه الدراسة وما لقيه من صعاب وعقبات كما تحدث عن منهجه حيث أشار إلى أنه ارتضى المنهج المتكامل الذي يجمع بين المناهج المختلفة ويأخذ من كل منها حتى لا يفوته طريق من طرق البحث والدراسة مع حفظ التوازن بينها بحيث لا يطغى جانب على جانب .

وقد قسم الأدب الى مراحل تبعاً للأحداث السياسية وغيرها من الظروف ، وهذه المراحل كما فصلها ودرس ملامحها هي :

أولًا : مرحلة التقليد ، وتبدأ بمستهل العصر الحديث وتنتهي بنهاية حكم الأشراف للحجاز سنة ١٣٤٣ هـ .

ثانياً : مرحلة التقليد التجديدية ، وتبدأ ببداية الحكم السعودي سنة ١٣٤٣ هـ وتنتهي في حوالى سنة ١٣٧٣ هـ .

ثالثاً : المرحلة التجديدية ، وهي من بداية حكم الملك سعود بن عبد العزيز حتى الآن .

ويتألف هذا الكتاب من أربعة أبواب توزعت على فصول ، ثم الخاتمة وقائمة المراجع ونقتبس من مقدمة المؤلف (ص ص ١٧ ـ ٢٥) التعريف التالي وهو يقدم صورة واضحة لمحتويات ومنهج الكتاب :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب الأول : خصصه لدراسة المرحلة التقليدية في الأدب الحجازي الحديث ، وذلك من أواخر العهد التركي إلى نهاية عهد الأشراف .

وقد قدم لذلك بلمحة عاجلة عن الأدب الحجازي القديم ، حتى يتضح للقارىء كيف اعتمد هذا الأدب الحديث على الأدب القديم في مرحلة التقليد ، وإلى أي حد التزم بمحاكاته أو تجاوزها ، فمعرفة القديم تحدد معالم الحديث ، ولا جديد لمن لا قديم له .

وحدد في هذا الباب مفاهيم الأدب التقليدي وبواعثه وروافده ، وأوضح سماته وخصائصه ، وذلك كله من خلال عرض النماذج والنصوص والتراجم بعد دراستها وتحقيقها وتقويمها ، وذلك بسبب ندرة المصادر في هذه المرحلة ، وصعوبة الحصول على ما يوجد منها .

ويتألف هذا الباب من خمسة فصول :

عرض في **الفصل الأول** : حال الأدب الحجازي قبل عصر البعث والاحياء ، الربط بين الأدب القديم وأدب هذه المرحلة ، التي كان من أشهر روادها التقليديين عبد الجليل برادة ، والأسكوبي ، ومحمد العمري ، وعثمان الراضي وغيرهم .

وفي الفصل الثاني : حدد مفهوم التقليد في اللغة والأدب ، وفرق بين مفهوم الأدب التقليدي الجامد ، والتقليد المتطور الذي أهل أدباء هذه المرحلة إلى الدخول في العصر الحديث ، لتقليدهم أدب عصور ازدهار الأدب ، ورفضهم آثار عصور الانحطاط ، ثم عرض للبواعث التي دفعتهم ، والروافد التي أمدتهم والعوامل التي أثرت فيهم .

وفي الفصل الثالث : عرض للنزعات التقليدية لدى شعراء هذه المرحلة من مدح وغزل وسياسة وغيرها من موضوعات الشعر التقليدي ، وقرن ذلك بذكر الملامح التقليدية في شعرهم ، معتمداً على الشرح والتفسير والتعليل والتمثيل .

ثم عرض في الفصل الرابع : لأشهر فنون النثر لدى أدباء التقليد في هذه المرحلة ، من رسائل وتقاريظ ، وخطب ، ومقالات ، واعتمد في نصوص هذا الفصل على المخطوطات والمجلات ، وقوم تلك الآثار بمقاييس العصر الذي قيلت فيه من حيث الصدق والأصالة والوفاء لتراثهم القديم ، مع التصاقهم بثقافة عصرهم وأحداثه وترجم لأشهرهم .

وفي الفصل الخامس : تتبع أبرز خصائص الأدب التقليدي في الشعر والنثر ، من نزعات دينية وغزلية وغيرها ، ودعم ذلك بالشرح والتمثيل .

أما الباب الثاني : فقد خصصه لعرض وتقويم الأدب الحجازي من بداية الحكم السعودي على هذا الإقليم عام ١٣٤٢ هـ حتى أوائل الثمانينات من الهجرة وقد سميت هذه الفترة مرحلة التقليد التجديدية ، لأن معظم أدباء هذه الفترة جمعوا بين الاتباعية والابتداعية في آثارهم ، نتيجة لتلقي أغلبهم ثقافتهم المباشرة من أدباء مرحلة التقليد ، إلى جانب حبهم وتقديمهم لمصادر التراث العربي على غيره من أول هذه الفترة ، مما جعلهم يحافظون على أهم المكونات الشكلية في الشعر خاصة والتمسك بالعربية في كتاباتهم عامة ، كما أن معطيات العصر الثقافية التي جاءت تلبية لحاجة التطور وإيمان الأدباء بالاستفادة من تجارب الأمم ، دفعتهم إلى التطوير في عرض أشكال الفنون القديمة لديهم ، وإدخال بعض الفنون الجديدة على أدب هذا الإقليم من قصة ومسرحية وغيرها .

وقد اختلفت نزعات التجديد عند أدباء هذه المرحلة :

ففي حين بدأ العواد ومحمد عمر عرب وغيرهما دعوتهم المبتكرة إلى التجديد ، نجد أحمد الغزاوي وفؤاد شاكر ، وعمر بري ، وعبد الله بلخير ، وحسين سرحان ، والعامودي ، وغيرهم يتئدون في تطوير آثارهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما يوجد مجموعة من أدباء هذه المرحلة جمعوا منذ البداية في آثارهم بين الاتباع والابتداع ، أمثال : أحمد السباعي والفقي وحسين عرب وغيرهم ، وكل ذلك يرجع إلى اختيار كل مجموعة منهم للثقافة التي تتناسب مع ميولهم وأمزجتهم الخاصة ، لتوفر مصادر الثقافتين العربية عن طريق إحياء التراث ، والغربية عن طريق الكتب المترجمة وتعلم اللغات .

وأمام هذه الآثار التي تدل على التطور المحافظ وتبدو عليها سمات بوادر «التجديد المتئد» أطلق عليها (مرحلة التقليد التجديدية) لأن سمات جلّ آثارهم ترتفع عن سمات أدب مرحلة التقليد ، ولا تصل إلى مستوى مرحلة (الثورة التجديدية) التى أعلن جلّ روادها رفضهم الجريء لمناهج المقلدين ، وقالوا بوجوب الإبداع في الأشكال الأدبية ، وأن تدور مضامينها حول المعاناة اليومية تمشياً مع نسق الحضارة المتطورة وقد تطلب منه ذلك تتبع بوادر التجديد المحافظ ، وأشهر رواد الشعر والنثر ، وأمثلة من آثارهم ، ثم تتابع ظهور الفنون الجديدة من قصة ومسرحية وأشكال جديدة ، مع تحديد الخصائص الفنية للأدب في هذه المرحلة ، وقد تكون هذا الباب من ستة فصول :

في الفصل الأول : عرض لبوادر الدعوة إلى التجديد في الأدب العربي ، ودفعه ذلك إلى تحديد مفهوم التجديد لدى المحافظين وغيرهم ، في مصر والشام والمهجر والحجاز ، فيما قبل مدرسة (أبلو) حتى تتضح الرؤية أمام القارىء ويدرك صدى كل دعوة قبل الدخول في التفاصيل الموسعة في آثار أدباء مرحلتى التقليد المجددة ، والثورة التجديدية في بقية فصول هذا الباب والذي يليه .

وتطلب منه ذلك الاطلاع على جلّ الآثار المكتوبة عن آثار مدرسة الديوان في مصر والرابطة القلمية في المهجر ... وغيرهما من دعوات التجديد الفردية .

وفي الفصل الثاني : كتب عن العوامل التي مهدت لقبول التجديد المحافظ في الحجاز في هذه المرحلة ، وقد تناول أهم الأحداث السياسية وأبرز العوامل الثقافية ، كالصحافة والنوادي الأدبية ، ومواسم الحج ، والزيارات الخاصة التي قام بها بعض الأعلام للحجاز أمثال : طه حسين ، وشكيب أرسلان ، والعقاد ، وغيرهم ، إلى جانب العوامل الأخرى التي أثرت في حياة الأدباء .

وقرن كل هذه العوامل بالنماذج الأدبية والتراجم الشخصية وقد لاقى في تتبع وثائق هذه العوامل وجمعها وتقويمها والربط بينها كثيراً من الجهد والعناء .

أما الفصل الثالث : فهو عقد هذا الباب ، حيث عرض فيه أبرز الآثار الشعرية ، وقسمها إلى ينابيع ستة ، تضمنت أشهر الأشعار ، وهي :

١ ــ ينبوع الاعجاب والجمال : ويشمل نماذج موضوعات المدح ووصف الطبيعة .

٢ ــ ينبوع الأنين : ويشمل نماذج الغزل والرثاء والشكوى .

٣ ــ ينبوع التدين : ويشمل مدائح الرسول وما يتعلق بالمعاني الإسلامية ، والمناسبات الدينية ، ومجال التوحيد ، والعبادات وسائر الشعائر الإسلامية .

٤ ــ ينبوع الحماس ويشمل : موضوعات الشعر السياسي وهذا الينبوع من الأغراض الجديدة .

٥ ــ ينبوع الفكاهة : وقد تعددت موضوعاته تبعاً لتعدد دوافعه ، ومعظمها في النقد الاجتماعي والسياسي والثقافي ونحو ذلك .

٦ ــ وينبوع المجتمع : ويشتمل على الشعر الذي قيل في الموضوعات «الاجتماعية ، والثقافية» .

وترجم في هذا الفصل لأكثر من ثمانية عشر أديباً مع ذكر بعض آثارهم والإشارة إلى مصادرهم وقوم هذه الآثار وحكم على اتجاهاتهم من خلالها .

وفي الفصل الرابع : عرض لفن النثر فكتب مقدمة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن النثر ، حدد فيها أبرز أنواع هذا الفن ، وهي المقالة والخطابة والقصة والمسرحية ، ثم درس فيه فنّي المقالة والخطابة . وركز كثيراً على المقالة ، لأنها من أبرز أنواع النثر في هذه المرحلة وتناول في عرضه لها المؤثرات المباشرة لتطور كل نوع من أنواعها في ظل الصحافة ، وذكر أبرز الصحفيين والصحف التي احتضنت كل نوع من أنواعها ، ومن أهم أنواع المقالات التي درسها :

المقالة الاجتماعية ، وقد مثل لأبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها كتاب الحجاز ، ومنها قضية المرأة ، في التعليم والعمل والزواج والسفور .. وغيرها من القضايا البارزة التي تتعلق برفع مستوى الطاقة البشرية ، صحياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً .. وقد قرن الأمثلة بالتقويم للأفكار والأساليب ، كما تناول المقالة الثقافية والأدبية ، وتتبع في عرضه أشهر الموضوعات التي تناولها كتاب المقالة الثقافية .

وراعى في ترتيبه العامل الزمني حسب تناول الكتاب لكل موضوع : فبدأ بمقالاتهم في الدعوة إلى نشر التعليم ، ثم الدعوة إلى نشر الوعي الإسلامي والقومي والوطني ، ثم نشر الحقائق عن الاكتشافات العلمية والنتائج التربوية الحديثة ، حيث ألحوا على الاستفادة من الثقافة الغربية والعربية ، ثم تناول بعض المقالات الأدبية التي دارت حول مكونات الأدب في المضمون والشكل وتعريفه وتقويمه ، ومتابعة أبرز قضاياه من تقليد وتجديد ومفهوم التجديد ، والثورة على مكونات الشكل القديم في الشعر ، ونشر المذاهب الأدبية الجديدة ، وغير ذلك مما هو مفصل في هذه الفترة ، وذكر الصحف التي احتضنت كتاب المقالة الأدبية وذكر مجموعة من الكتب التي جمع بعض كتاب المقالة مقالاتهم فيها ، وقد حاول تنويع النماذج في اختياره للمقالات الأدبية ، مراعياً بذلك التتابع الزمني لكل قضية .

وتناول المقالات السياسية والدينية بالعرض والتحليل والتقويم ، حتى يدرك القارىء التطور الذي تم على يد أدباء هذه المرحلة ، وقد ترجم في الهامش لأبرز كتاب المقالة .

وفي الفصل الخامس : تناول فنى القصة والمسرحية ، وهما من الفنون الجديدة على النثر الحجازي ، ويرجع الفضل في وجودهما إلى أدباء هذه المرحلة ، وحدد المؤثرات المباشرة لهما ، وعرض لتطورهما وأبرز كتابهما وعدد مجموعة من أشهر أنواعهما ، وساق أمثلة لهما ليقف القارىء على مستوى القصة والمسرحية لدى أدباء هذه المرحلة .

ثم خصص **الفصل السادس** لخصائص الأدب في هذه المرحلة معتمداً على النماذج والشواهد التي سجلها قبل هذا الفصل بالإضافة إلى ما استشهد به في عملية التقويم ، وذلك ليدرك القارىء الفرق بين آثار أدباء هذه المرحلة والتي قبلها ، من تطور في الأشكال والفنون والأفكار والموضوعات مع واقع الحياة المتجددة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الباب الثالث : فقد خصصه لأدب المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة (الثورة التجديدية) ، وتبدأ من أوائل الثمانينات الهجرية حتى الآن ، وأدباء هذه المرحلة وإن كانوا لم يقطعوا صلتهم بقواعد الشعر العربي ونظامه ، إلا أنهم دعوا إلى التحرر والتجديد في الشكل والمضمون ، فلم يلتزموا بهذه الصلة ، بل استجابوا للتيارات الغربية الجديدة ، في الثورة على القصيدة العمودية وقوافيها ، وفي المعاناة الذاتية ، وفي الاتجاه الواقعي ، ونحو ذلك فيما فصله من ألوان التجديد المدعمة بالشواهد والأمثلة .

وضمن هذا الباب خمسة فصول :

عرض في **الفصل الأول** منها لشيوع الثقافة وأثرها في حركة التجديد عن طريق الترجمة والبعثات .

وفي **الفصل الثاني** للصراع بين المقلدين والمجددين وأطواره ونتائجه ، ذلك الصراع الذي بدأت بوادره

لدى أدباء مرحلة التقليد التجديدية حتى تمت الغلبة للتجديد على يد أدباء هذه المرحلة الثائرة .

وفي **الفصل الثالث** عرض أهم معالم التجديد في الشعر من خلال عرض بعض النماذج الشعرية وتقويمها والترجمة لأصحابها .

وعرض في **الفصل الرابع** لأهم المعالم التجديدية في النثر من خلال سياق بعض النماذج للخطابة والكتابة ، وقد اختار من فنون النثر المقالة والقصة والمسرحية ، وقوم كل ما عرضه كما ترجم لأصحابه .

وختم هذا الباب **بالفصل الخامس** الذي عقده لذكر آراء النقاد (في الأدب الحجازي الجديد في ميزان النقد) وقد قصد في هذا الفصل إلى توضيح الرؤية للأدب الجديد ، عن طريق آراء النقاد فيه .

أما **الباب الرابع** : فقد ترجم فيه لبعض أعلام الأدب الحجازي في مراحله الثلاث ، حيث درس هؤلاء الأعلام دراسة شخصية ، تستجلى من خلالها غزارة المادة لديهم وخصائصهم الأدبية ، وهو يتكون من ثلاثة فصول :

فالفصل الأول : ترجم فيه لبعض أعلام المرحلة الأولى ، ومنهم إبراهيم الأسكوبي ، ومحمد العمرى ، وعبد المحسن الصحاف .

وفي **الفصل الثاني** : ترجم لبعض أعلام المرحلة الثانية ، واختار منهم : أحمد الغزاوي وحمزة شحاتة من الشعراء ، وأحمد العطار الناثر ، وأحمد السباعي ، القاص .

أما **الفصل الثالث** : فكان لدراسة أدباء المرحلة الثالثة التجديدية ، وتقويم أدبهم ، ومنهم محمد حسن عواد وحسن القرشي من الشعراء ثم أحمد جمال وعبد الله جفرى من الكتاب .

أما (**الخاتمة**) فقد لخص فيها نتائج هذا البحث الشامل ، والدراسة المستفيضة لأدب الحجاز في مختلف مراحله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشهاب الدلجي

وكتابه «الفلاكة والمفلوكون»

صلاح الدين المنجد

في تراثنا العربي كتاب فريد من نوعه ، خصّه صاحبه لتراجم الذين ابتعد عنهم الحظّ في حياتهم ، فعاشوا في بؤس أو شقاء ، أو لم يوفّهم الناس حقّهم ، أو نسبوا لهم أشياء هم برآء منها .

هذا الكتاب هو «الفلاكة والمفلوكون» ، الذي ألّفه الشهاب الدلجي ، ويُمكن أن نسمّيه بلغة عصرنا «كتاب البؤساء» .

وقد رجع العلّامة عبد السلام هارون الى هذا الكتاب في الترجمة التي كتبها لسيبَويه ، في مقدمة الجزء الأول من «الكتاب» . وذكر أنّ الدلجي ، كان حيّاً سنة ١٢١٠ هـ ، أي في مطلع القرن الثالث عشر .

ولاشكّ أنّ ما ذكره الأستاذ هارون خطأ ، فالدلجي عاش في القرن التاسع ومات فيه ، ولم تَطُل حياته قرنَيْن . وقد ترجم له كثيرون من القدماء والمعاصرين . منهم :

١ ــ السخاوي في «الضوء اللامع» (٢ / ٢٧) .

٢ ــ النُعَيْمي في «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس» (١ / ١٤٦ ــ ١٤٨) .

٣ ــ ابن طولون الصالحي الدمشقي في «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» (١ / ١١٧ ــ ١١٩) .

٤ ــ عمر كحالة في «معجم المؤلفين» (٢ / ١٣) .

٥ ــ خير الدين الزركلي في «الأعلام» (١ / ١٧٢) .

٦ ــ بروكلمن في كتابه الشهير (الذيل الثاني ــ ص ٧٤١) .

وقد ذكر هؤلاء جميعاً أن وفاة الدلجي كانت سنة ٨٣٨ هـ .

وقد بحثت عن مصدر الخطأ الذي وقع فيه العلّامة هارون . فوجدتُ أنّ سركيس هو الذي سبقه الى هذا الخطأ . (ص ٨٧٧) . فلعلّ الأستاذ الجليل نقل عنه ، ــ دون أن يذكر مصدر نقله ــ . ثم لم يتثبّت من صحة ما نقل .

فمن هو الدلجي ؟ .

اسمه شهاب الدين أحمد بن عليّ بن عبد الله المصري ثم الدمشقي ، الشافعي .

أصله من «دلجة» في صعيد مصر . اشتغل بمصر ، وبرع في النحو وغيره من العلوم العقلية ، ثم توجّه الى طرابلس (الشام) فأقام بها يسيرا ، ثم انتقل الى دمشق حوالي سنة ٨١٨ هـ ، ودرّس بالمدرسة الأتابكية (بالصالحية) ، وجلس للاشتغال بالجامع (الأموي) مدة يسيرة ، وتعاطى الشهادة ، وحصّل دُنيا منها . وخدم بعد ذلك القاضي شهاب الدين ابن الكشك الحنفي ، ثم القاضي بهاء الدين ابن حِجّي[1] ، ووُلّي مشيخة الخانقاه الخاتونية ، لكنّه لم تُحمد سيرتُه فعُزل منها . وكان فاضلًا في المعقول ، وعبارتُه صحيحة فصيحة . وكان جيّد الخطّ ، عارفاً بصناعة الشهادة . وكان قد لزم القاضي

نجم الدين ابن حجّي وحَظي عنده ، ثم أبعده وحكم بكُفْره وإراقة دمه . أخذوا عليه أنّه كان مُسْتَنْقِصاً للخَلْق مُسْتَزْرِياً بهم ، قليل الدين ، متهاوناً بالصلاة ، مُصِرّاً على أنواع من المعاصي ... واستمر بعد ذلك مُنكّداً مُضَلّلا . فتوجّه الى مصر ليتكسّب بالشهادة عند القاضي الحنبلي . فتوفي هناك سنة ٨٣٨ هـ ، وهو في عشر السبعين ظَنّاً » انتهى ملخّصاً من النعيمي .

وقد ترك الدلجي أربعة مؤلّفات :

الأوّل : جمع فيه بين كتاب (التوسّط والفَتْح بين الروضة والشرح) وكتاب (خادم الرافعي والروضة في الفروع) .

الثاني : تعليقات من الفوائد من (شرح البخاري) لمحمد بن يوسف الكرْماني .

الثالث : مختصر في قول الناس . فلانٌ معلول .

الرابع : الفِلاكة والمفلوكون .

لم يصل إلينا من هذه المؤلّفات سوى الكتاب الرابع الأخير .

فما معنى الفِلاكة والمفلوك ؟

يقول الدلجي عن معنى المفلوك ، « هذه اللفظة تلقّيناها من أفاضل العجم ، ويُريدون بها الرجل غير المحظوظ ، المُهْمَل في الناس لإملاقه وفَقْره . وليس في « صحاح الجوهريّ » ، ولا في « القاموس » ، في هذه المادة ما يصلحُ لهذا المعنى ١ هـ .

ثم ساق بحثاً جَوّز فيه أن يكون المفلوك هو الذي يُعارضه الفَلَك في مُراده على جهة التجوّز .

وقد عقد في الكتاب عدّة فصول عن « الفِلاكة » ـ أي سوء الحظّ ـ ، وسببُها ، وعن المفلوكين وصفاتهم . وترجم لما يقرُب من مئة وأربعين عالماً مشهوراً ، تقلّصت عنهم الدنيا ولم يحظوا بطائل على سعة علمهم . ثم ذكر طائفة من أشعار المفلوكين ، ووصايا يُستَضاءُ بها في ظُلُمات الفلاكة .

ونرجّح أنّ الدلجي ألّف كتابه هذا بدمشق ، بعد أن طُرِد من وظائفه ، ونسب اليه علماء عصره ما لم يَرْضَ عنه ، وآذوه وكفّروه وفسّقوه ، فجفا عنه الحظّ وعانى من النكد والفقر الكثير ، فكان هذا الكتاب نتيجة تلك التجربة القاسية المؤلمة التي مرّت به ، وكأنّه كتبه دفاعاً عن نفسه ، «لأنّ أهل الفضل ـ على حدّ قوله ـ مُخصّصون بأن تُذاع نقائصهم ويُفترى عليهم » . وهو ينوّه بألم هؤلاء المفلوكين لدى سماع نقائصهم «الواقعة منهم بحكم البشرية» ويقول : «وأشدّ من ذلك ألماً وأعظم مصيبة إضافة النقائص الموهومة أو المكذوبة إليهم ، وهم منها برآء» .

إنّ هذا الكتاب طريف ، وفيه مُتعة للقارىء ، وفائدة للعالم ، والباحث في علم النفس والطبائع . وقد طبع طبعات لا تحقيق فيها ، وإنّه لجدير أن يحقق ويُعاد طبعه .

---

(١) انظر تراجم هؤلاء القضاة في «قضاة دمشق» لابن طولون .

كُتَّاب الوحي لأحمد عبد الرحمن عيسى

توفيق علي وهبة

عيسى ، أحمد عبد الرحمن/ كُتَّاب الوحي.ــ ط٢ .ــ الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ٥٦٦ ص .

يقول المؤلف في تقديم هذا الكتاب لكي يوضح للقارىء منهجه في تأليفه ص ٨ : «أعتقد أنني في هذا الكتاب قد أتيت بجديد . حددت فيه من هم كُتَّاب الوحي ، ومن هم كُتَّاب الدعوة وشئون الرسالة . والتزمت فيه عرض الكتب النبوية الشريفة في سيرة من كتبها بين يدى الرسول ﷺ من كُتَّاب الوحي ، لكي أستحضر أمام القارىء ذلك المشهد الجليل ، مشهد النبي ﷺ وهو يملي والكاتب بين يديه يكتب ، وشفعت ذلك بالشرح وبيان المناسبة لكل كتاب أو رسالة .

أما الكتب التي لم تذكر المصادر من كتبها ، فقد أفردتها في فصول تحدد أغراضها ومراميها مع الشرح وبيان المناسبة كذلك .

وقد وصل إلينا أكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة صدرت عن الرسول ﷺ في شئون الدعوة والرسالة وبناء الدولة الإسلامية . وقد اجتهدت في أن استقصيها في هذا الكتاب ، ولكني لا أدعي الإحاطة التامة بذلك .

مهدت لهذا كله ببعض البحوث لتكون مدخلًا عصرياً إلى هذا التراث الضخم المبارك ، رجاء تقريبه إلى الأذهان وربطه بالحياة الجارية » .

ويوضح لنا المؤلف في هذا التقديم أيضاً معاناة الباحث في التعامل مع كتب التراث ، والواقع أن هذه مشكلة تصد بعض الباحثين عن بلوغ غايتهم أحياناً ، فلكي يبرز الباحث شخصيته فيما يقدم للناس ، عليه أن يشق على نفسه ويحملها على المركب الصعب وقد لا يستطيع أن يروض نفسه على ذلك ، وإن استطاع فقد لا يكون راضياً كل الرضا عما وصل إليه ، ولو عاد مرة أخرى إلى ما كتب ، فربما ينقض ما كتبه ويعيد تركيبة الهيكل من جديد .

يشير المؤلف إلى ذلك فيقول : «والحقيقة أن التعامل مع كتب التراث أمر شاق ، وقد يكون مرهقاً في بعض الأحيان ، فالمصادر التي بين أيدينا ليست سهلة المورد ولا موطأة الأكناف ، فيها حقائق ثمينة جداً ، ولكنها مطمورة في غمار من طرق العرض المملة أو المشوشة ، تماماً كعروق الذهب التي تختفي تحت ركام من الصخور فلا يكاد يتلألأ لها بريق أو يعرف إليها طريق .

كثير من المواقف لا يستطيع الإنسان أن يصل فيها إلى رأي حاسم ، فالمصادر قد تقول لك عن الشيء الواحد : ربما ، أو قد يكون ، وقد حدث ، ولكنه لم يحدث ، أو حدث ولكن فيه خلاف ، قاله البعض وأنكره الآخرون ... وهكذا ... ومن هنا كانت مهمة الباحث شاقة ودقيقة وعظيمة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويخاطب المؤلف نفسه فيقول : « عليك بالتمحيص والتدقيق ومحاولة التوفيق بين النصوص والآراء . وعندما يحدث بينها تعارض ، فليكن همك ترجيح أقربها إلى السياق والانسجام مع سير الأحداث . وعليك بالأناة قبل أن تأخذ في تأليف الكلام » .

هذه شذرات من تقديم المؤلف لكتابه الضخم الذي استغرق ٥٦٦ صفحة من القطع الكبير . وهي في الواقع تعطي للقارىء ضوءاً كاشفاً قبل أن يبدأ مسيرته مع هذا الكتاب .

لم يقسم المؤلف كتابه إلى ابواب وفصول ، وإنما سار فيه تبعاً لتسلسل الموضوعات بحيث يؤدي كل موضوع إلى ما بعده أداء منطقياً أو تلقائياً .

بعد الاستفتاح والتقديم أتى بتمهيد في إطار قصة طريفة العرض تتصل بموضوع الكتاب اتصالًا واختار لها هذا العنوان (على بركة الله يا تُبَّع) وأورد كتاب (تُبَّع) إلى محمد ﷺ ، وحقق القصة تحقيقاً علمياً يعتمد على المراجع والأسانيد التي ذكرها فيقول : «لعلي أكون منفرداً برواية قصة (تُبَّع) على هذا الوجه القصصي الجديد ، ولكني معتمد في ذلك على مادة علمية ثابتة في كتب التراث ، فقصة تُبَّع وبنائه أصل المدنية وكتابه للنبي ﷺ ، وردت جميعها بصور غير كاملة ، ولكنها في مجموع المصادر متكاملة ، وكان صنيعي فيها هو تحقيق التكامل مع تمحيص الروايات ثم العرض القصصي بطريقتي الخاصة» .

ثم يعقد المؤلف فصلًا بعنوان (إقرأ) يقول فيه : «جاء محمد ﷺ بدين طابعه الحضارة والتقدم من أول آيات هبط بها الوحي على قلبه في سورة إقرأ (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) . خمس آيات قصار هي بواكير الوحي ، ومفتاح الحضارة التعليمية والتربوية ، هي دعوة صريحة إلى العقل البشري لكي ينطلق في اكتشاف ما أودعه الله سبحانه في الإنسان من علم أسرار النفس ، واكتشاف ما أودعه في الطبيعة من علم أسرار الطبيعة» .

ويأتي بعده فصل بعنوان (اتجاهان بارزان) يقول فيه : «ينطوي مفهوم التربية الإسلامية على اتجاهات كثيرة ، تجتمع كلها وتتآزر حول محور واحد هو عقيدة التوحيد النقي الخالص لله . ولكنى أخص بالحديث هنا اتجاهين بارزين أستقيهما من سورة إقرأ أو العلق : الاتجاه الأول الصبغة الإنسانية ... الاتجاه الثانى النزعة العملية التعميرية » ..

ويؤدي به الحديث عن النزعة العملية التعميرية إلى أن يعقد فصلاً عن (المدرسة الشاملة) على أنها «نموذج حديث يهدف إلى تجديد التعليم وربطه بخطط التنمية وتعمقه نظرياً وعملياً في الحياة الجارية التي يعيشها الشعب على أرضه» .

وكان لابد من الحديث عن الكتابة العربية (الخط) وصحف الكتابة عندهم التي تعتبر بمثابة أوراق الكتابة وانتهى إلى أنها ستة أشياء ، ثم يأتي برأى الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) حيث يقول : «ومما يؤسف له كثيراً أننا لا نملك اليوم كتابة واحدة من الكتابات المدونة في أيام الرسول ﷺ ، ولا نملك أى نسخة من نسخ القرآن الكريم أو من صحفه المدونة في أيامه . فلا نملك اليوم نسخة (حفصة) للقرآن الكريم ، ولا نسخة (عثمان ابن عفان) ولا النسخ التي دونت بأمره لتوزع على الأمصار ، ولا أية نسخة أخرى من النسخ التي دونها الصحابة لأنفسهم ، ولا نملك النسخة الأصلية للمراسلات التي كان يأمر الرسول ﷺ بتدوينها لترسل إلى الملوك أو سادات القبائل أو الأمراء» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يعقد فصلاً عن الوحي يتحدث فيه عن كيفيته وأقسامه ، وكيف بدأ الوحي على محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وكيف سارت الدعوة على سنة الطبيعة في التدرج والتطور حتى أتم الله رسالته .

وبعد هذه الفصول التمهيدية التي لا بد منها ، يدخل في صميم الموضوع فيعقد فصلاً في كُتّاب الوحي فيقول : ما عدد هؤلاء الكُتّاب ، ومن هم ؟

اختلفت في ذلك المصادر الشهيرة وتعددت الآراء ، ولم يكن من السهل على الباحث أن يصل إلى ذلك دون مثابرة وتدقيق ، ولو ذهبنا نتقصى هذه المصادر جميعها لأعيانا ذلك ، ولكنا رجعنا إلى ما يكفينا لكي نصل إلى ما انتهينا إليه .

إنهم سبعة وثلاثون كاتباً شرفهم الله بالكتابة بين يدى الرسول ﷺ ، وقد قسمهم المؤلف إلى فريقين تبعاً لمهامهم في الكتابة الشريفة .

الفريق الأول كُتّاب التنزيل وغيره ، عثمان بن عفان ، على بن أبي طالب ، أبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، معاوية بن أبي سفيان . عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

الفريق الثاني كتاب الوحي في شئون الرسالة والدعوة وحوائج الناس وتأسيس الدولة الإسلامية ، وعدتهم واحد وثلاثون كاتباً ، منهم أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب والعباس ابن عبد المطلب والإخوة الثلاثة خالد بن سعيد بن العاص وأخواه أبان وسعيد ، وغيرهم .

وبعد أن يستعرض المؤلف سيرة كل من الفريقين التي استغرقت عدة مئات من الصفحات وقد حشد مع كل كاتب ما أمره الرسول بكتابته من الرسائل والكتب مع الشرح والتعليق وبيان المناسبة ، بعد ذلك كله يعقد فصلًا بعنوان (علامة استفهام) يقول فيه ص ٤٩٢ :

« لماذا لم يكونوا من كُتّاب الوحي ؟ ومن هم هؤلاء يا ترى ؟

هم خمسة من القرشيين الكاتبين السابقين إلى الإسلام بمكة .

وقصة ذلك أن الإسلام ظهر بمكة ولم يكن بها أحد يجيد الكتابة ويمارسها إلا سبعة عشر كاتبا ، صار عشرة منهم من كتاب الوحي بين يدي الرسول ، وقد عرضنا سيرتهم جميعاً وهم : عمر بن الخطاب ، وعثمان ابن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وأبان بن سعيد ابن العاص ، وأخوه خالد بن سعيد ، ويزيد بن أبي سفيان ، والعلاء بن الحضرمي ، وعبد الله بن سعيد ابن أبي سرح ، وجهيم بن الصلت ، ومعاوية بن أبي سفيان .

أما السبعة الباقون فمنهم اثنان كانا فيما بعد من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم فلا شأن لنا بهما في هذا المجال ، وهما حويطب بن عبد العزي وسفيان بن أبي حرب .

بقي هؤلاء الخمسة الصحابيون الكاتبون والذين تدور حولهم علامة الاستفهام وهم : طلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو حذيفة بن عتيبة ، وحاطب ابن عمرو ، وأبو سلمة بن عبد الأسد .

فإنه من الغريب ألا يصلنا أى علم أو خبر أو أثر يشير ولو من بعيد إلى أن هؤلاء الخمسة كانوا من كتاب الوحي ، وهم جميعاً من السابقين إلى الإسلام ومن المشهورين بالكتابة في مكة حينذاك » .

والذي حمل المؤلف على هذا الاستفهام ، هو أن بعض المصادر ذكرت أن كتاب الوحي بلغت عدتهم ٤٢ كاتباً وهو أقصى عدد ذكرته بعض المصادر ، ولكن الكاتب قد حقق أن كتاب الوحي ٣٧ فقط ، فأين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

– الخمسة الباقون ؟ اجتهد الكاتب في أنهم هؤلاء الذين ذكرهم أخيراً .

وهذا اجتهاد من المؤلف تقع مسئوليته عليه وحده .

وقد استطاع المؤلف أن يكتب فصولاً جديدة في برامج متنوعة سلكها الرسول في تربية أصحابه ، أحدهما برنامج تربيته لكتاب الوحي ، وبرنامج تربيته لرسله إلى الملوك والأمراء ، وبرنامج تربيته لعماله وأمرائه ، وهي فصول شائقة لم يسبقه أحد إلى تصنيفها واستنتاجها من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ومنجزاته الشريفة .

وإليك كلمة سريعة عن كل برنامج منها .

أولاً : تربيته لكُتّاب الوحي ، وقد استغرقت ١٧ صفحة من الكتاب ، وفيها يقول :

«هي تربية خاصة أعدهم فيها الرسول ﷺ لكي يصبحوا قادرين على التكيف مع المهمة الشريفة التي يقومون بها ، والله سبحانه وتعالى ربى محمداً لكي يتولى تربية الناس كافة ، بدءاً من كلمة «لا إله إلا الله» إلى إماطة الأذى عن الطريق العام ، ونحن هنا بإزاء مهمة خاصة هي إعداد جهاز خاص يتولى الكتابة والتحرير بين يدي الرسول ﷺ .

لم يعلمهم محمد الكتابة والقراءة ، بل اختارهم من القارئين الكاتبين بمكة حينما ظهر الإسلام وكانوا من السابقين إليه» .

«إذن لابد أن يكون هناك اختيار دقيق لمن يتولى الكتابة ويعرف بها بين الناس ، وقد اختارهم ﷺ لنفسه وتولى تربيتهم من الناحيتين الروحية والتنفيذية .

فهل نستطيع أن نقول إن الرسول ﷺ وضع بعض المبادىء الخاصة بهذه الصناعة ، وأرسى شيئاً من قواعد الحضارة فيها ؟ .

«نعم ، ربى الرسول كُتاب وحيه ودربهم على أسس خاصة» .

وأورد المؤلف في هذا الصدد ١٥ مبدأ من مبادىء الكتابة وقواعدها قام الرسول ﷺ بتعليمها لكُتّاب وحيه وتربيتهم عليها ، وهذا بحث شائق وجديد .

ثانياً : تربيته لرسله إلى الملوك والأمراء . وفي هذا الفصل يقول :

«.... وقبل أن يبدأ في إرسال رسله إلى الملوك والرؤساء في أول المحرم عام سبعة من الهجرة ، قبل ذلك كان قد أعد رسله إعداداً خاصاً يؤهلهم لإنفاذ كتبه ورسائله في الدعوة إلى التوحيد وتمكين كلمة (لا إله إلا الله) في أرض الله ، تمكيناً ترفرف به راية الإسلام في الآفاق وتسري في أعماق النفوس .

أعد ﷺ رسله ومبعوثيه ليكونوا دعاة ، لا مجرد حاملين للرسائل أو ناقلين للكتب ، فالهدف هو إرادة التغيير ، تغيير الهيكل العقائدي بالقضاء على المجوسية والوثنية واليهودية والنصرانية ، ونسخ كل عقيدة تخالف عقيدة الإسلام ، وبث حرارة الإسلام لتقوض العروش والهياكل ، وتسكت رنين النواقيس ، وتكتم الغمغمة والهينمة وأصوات المزامير ومراسم الكهنة والرهبان ، ومراسم الأكاسرة والقياصرة والمرازبة وأبهة الملك والسلطان ، وكل ما يعلق بنفوس البشر من شوائب الشرك وعبادة غير الله» ...

ثم يقول المؤلف : «وبدأت التعبئة والحشد العظيم ، نادى الرسول في أصحابه « وافوني بأجمعكم في الغداة » . وتوافوا إليه في مسجده عند صلاة الفجر ، فانتقى منهم عدة رجال يكونون رسله إلى الملوك والرؤساء وتوجه إليهم قائلاً :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

«إنصحوا لله في عباده، فإنه من استرعى شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح لهم، حرم الله عليه الجنة، إنطلقوا، ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى ابن مريم» الحديث ....

وقد استغرق الفصل أكثر من ٩٠ صفحة قامت على التحليل والتقرير.

ثالثاً: تربيته لعماله وأمرائه، وقد استغرق هذا الفصل ١٣ صفحة من الكتاب، وفيه يقول:

....« تغير تركيب الهيكل الديني والاجتماعي لجزيرة العرب تغيراً جذرياً في ظل الإسلام، وأصبحت آفاق الجزيرة من شرق وغرب وشمال وجنوب ينبض فيها قلب الإسلام وعقله وسطوته، وما أظلتها السنة العاشرة من الهجرة، حتى كان عمال رسول الله وأمراؤه منبثين في كيان الجزيرة يعلمون الناس ويحكمونهم بكلمة الإسلام من لدن محمد صلوات الله وسلامه عليه» ..

وفي هذا الفصل بيان للطريقة التي كان يختار بها الرسول عماله وأمراءه وكيف رباهم تربية روحية وتنفيذية، وكيف أنهم كانوا من ذوي التمكن في هذا الدين، في أصوله وفروعه وطريقة الاجتهاد والتصرف فيما يعرض لهم من الأمور في حدود هذه الأصول والفروع حتى طريقة الاتصال به ﷺ وهم في آفاقهم يؤدون رسالتهم، وحتى طريقة إرسال البريد فقد علمهم كيف يرسلونه إليه.

تحدث المؤلف بالتفصيل عن أخطر معاهدتين سياسيتين عقدهما الرسول، وهما معاهدة (يثرب). ومعاهدة (صلح الحديبية).

ويقول عن معاهدة (يثرب ــ المدينة): «هذه المعاهدة الفذة في تاريخ العلاقات السياسية والاجتماعية، كانت حجر الأساس الصلب المتين الذي انطلقت منه وعليه دعوة الرسول ﷺ من المدينة إلى أن أتم الله رسالته ولقى ربه راضياً مرضياً.

هاجر الرسول من مكة إلى المدينة وقال: هنا المنزل إن شاء الله، كانت يثرب (المدينة) حينئذ يتركب هيكلها الاجتماعي من طبقات متغايرة تغايراً شديداً في الدين والاقتصاد والاستيطان والتفكير والنزعات والعصبية وعدم التوازن بين أقلية وأكثرية وعدم التناسق في وجهات النظر، مع التضارب بين الحق والباطل والتنازع بين الهدى والضلال والتداخل بين النور والظلمات، فكان لابد إذن من تصفية هذا كله وإعادة بناء هيكلها الاجتماعي على أساس جديد هو الإسلام. وأن يكون ذلك بوثيقة مكتوبة لا فكاك منها».

وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن المعاهدة نفسها فيقول: «نصت معاهدة يثرب على بنود تتعلق بالمهاجرين والأنصار، وبنود أخرى تتعلق باليهود، وغيرها تتعلق ببقايا المشركين المتعاطفين مع قريش، وبنود تلتزم بها جميع هؤلاء الأطراف» ...

ثم يأتي بنص المعاهدة مقسمة إلى بنود تبدأ من رقم ١ لغاية الرقم ٤٧.

وفي تعليق المؤلف على هذه المعاهدة يقول فيما يقول: «ولكن من الكاتب الذي أملى عليه الرسول نصوص هذه المعاهدة من بين كتاب الوحي؟. لم تسعفنا المصادر بشيء من ذلك. وربما ــ وهذا مجرد استنتاج ــ يكون كاتبها هو (أبي بن كعب) الذي كان أول من كتب للرسول بالمدينة كما سيأتي في سيرته. وربما يكون الكاتب (علي بن أبي طالب) الذي تخصص في كتابة المعاهدات، وسيأتي في سيرته أنه كاتب النسخة الأصلية من معاهدة الحديبية».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول المؤلف عن معاهدة (صلح الحديبية) معقباً عليها بعد استعراض نصها : «وبدراسة هذا العهد بين النبي وقريش يتضح لنا أن شروطه هي :

١ ـ أن تقوم هدنة أمان وعدم حرب بين الطرفين عشر سنين .

٢ ـ لا تقوم خيانة ولا سرقة ولا رفع سيوف من أحد الطرفين .

٣ ـ إقرار الحرية والاختيار لكل من أراد أن يدخل في عهد محمد أو عهد قريش .

٤ ـ القادم على محمد من قريش يرده عليهم ، ولكن لا ترد قريشاً من قدم عليها من محمد .

٥ ـ أن يكون الإسلام ظاهراً بمكة ، لا يؤذى المسلمون بها ولا يعيَّرون .

٦ ـ أن يرجع محمد من الحديبية ولا يدخل مكة هذا العام . وله في العام القادم أن يأتي من المدينة ويدخل مكة مع أصحابه فيقيم بها ثلاثة أيام وسيوفه مغمدة في قرابها» .

ثم يقول المؤلف في تحليله لهذه المعاهدة : «والعبرة بالخواتيم ، فقد حزن المسلمون لقبول الرسول هذا العهد ، واعتبروه إجحافاً لهم بل هزيمة أمام قريش . ولكن الله بالغ أمره ، فقد انقلب ميزان التقدير ، وكان هذا العهد فتحاً في القريب العاجل» ...

تناول المؤلف كتابة القرآن الكريم بالدراسة والتقصي ، فقال إنه كتب ثلاث مرات حتى استقر على هيئته المعروفة لنا الآن باسم (مصحف عثمان) .

فالكتابة الأولى للتنزيل كانت بين يدي النبي ﷺ وبتوجيه حضرته الشريفة طوال عهديه المكي والمدني على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، وأن كلمة المصحف لم تكن معروفة على عهد النبوة الشريف ، لأن القرآن الكريم كان في دور التكوين التنزيلي الذي يتتابع على الرسول عن طريق الوحي ، ثم يأمر بكتابة ما ينزل منه ويبلغه للناس .

والكتابة الثانية (الصحف) كانت في عهد الصديق رضي الله عنه بعد موقعة اليمامة سنة ١١ هـ . ثم بدأ التفكير في تسمية القرآن باعتباره أصبح كتاباً مجموعاً من صفحات مرتبة محكمة ، فانعقد مؤتمر الصحابة واجتمع رأيهم على أن يسموه (المصحف) . ولكن هذه التسمية ظلت محفوظة لم يتداولها الناس حتى كتب مصحف عثمان .

فالكتابة الثالثة والأخيرة هي (مصحف عثمان) ، ويقول المؤلف : «أما هذه المرحلة النهائية في عهد عثمان ، فقد رتبت فيها السور على ما هي عليه الآن ، وكمل ترتيب الآيات ثم ترتيب السور بأمر توقيفي من الله كما علمهم النبي في حياته ونفذه الصحابة على مرتين ، مرة ترتيب الآيات في عهد أبي بكر ، ومرة ترتيب السور في عهد عثمان ، والله متم نوره» . وقد استغرقت هذه الدراسة ٣٥ صفحة من الكتاب .

أما كتبه وعهوده من خلال سيرة من كتبها من كُتّاب الوحي فقد استغرقت أكثر من ٣٠٠ صفحة ، وذلك لأن المؤلف التزم طريقة عبر عنها في تقديم الكتاب ، وهي عرض كتب النبي ورسائله في سيرة الكاتب الذي أمره الرسول بكتابتها ، وهي طريقة منهجية تفادى بها الوقوع في الخطأ التاريخي . لترتيب الكتب والرسائل ترتيباً زمنياً ، فهذا قد يكون متعذراً ولن يكون دقيقاً ، هذا إلى جانب فائدة هامة يقول عنها (لكي أستحضر أمام القارىء ذلك المشهد الجليل ، مشهد النبي ﷺ وهو يملي والكاتب بين يديه يكتب) .. ثم يقول : «أما الكتب التي لم تذكر المصادر اسم كاتبها ، فقد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أفردتها في فصول خاصة تبين أغراضها ومراميها » .

ويقول المؤلف في ص ٢٣٥ « ... وهذه المئات من الكتب والرسائل والعهود تتنوع من الناحية الموضوعية تبعاً لمراعاة مقتضيات الأحوال التي دعته صلوات الله وسلامه عليه لإصدارها والأمر بتحريرها ، وتبعاً لهوية المكتب إليه في كل منها ، وفي هذا المجال يمكن تصنيفها إلى الأقسام الرئيسية التالية :

١ ـ كتبه ﷺ في الدعوة إلى الدخول في الإسلام .

٢ ـ كتبه ﷺ إلى عماله وأمرائه في الآفاق .

٣ ـ كتبه ﷺ في عهود الصلح وإعطاء الأمان .

٤ ـ كتبه ﷺ في الإقطاع والمنح .

٥ ـ كتبه ﷺ في موضوعات متفرقة اقتضتها شئون الرسالة وبناء الدولة .

ويتحدث المؤلف عن الناحية الفنية في هذه الكتب والرسائل فيقول إن لها خصائص فنية تتجلى في جوانب كثيرة ، أبرزها جانبان هما : بلاغة الرسول ونظام كتبه .

ويأخذ في شرح هذين الجانبين شرحاً وافياً يتناول خصائص كثيرة .

وعندما نقترب من نهاية هذا الكتاب نرى المؤلف قد عقد فصلاً بعنوان (إتمام كتبه الشريفة) يقول فيه : «... وقد أشارت المصادر إلى كتب كثيرة عرف موضوعها ولم يرد نصها ، أو رويت بمعناها أو الغرض منها ولم تصل إلينا ألفاظها الشريفة ، أو نحو ذلك وما إليه ، هذه الكتب وإن كثرت لم تجد حاجة إلى الحديث عنها ، لأنا نجرى وراء النص ولا حاجة بنا إلى غير النص ، فما كان نصاً أخذناه ، وما لم يكن نصاً تركناه .

ولو كان كل كتاب من هذه الكتب ، معروفاً لنا كاتبه لعرضناه في سيرته وربطناه بكاتبه الذي أمره الرسول بكتابته كما صنعناه في سيرة كُتّاب الوحي ، ليكون هذا الربط أدل على فهم الكتاب وتحديد مناسبته .

وتحديداً لخط السير في إتمام كتبه الشريفة ، رأينا أن نعرض مابقى منها في إطار هذه «الأغراض الخمسة» .. يشير بذلك إلى الأقسام الرئيسية السابق تصنيف الكتب على أساسها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد : فما أحرانا ونحن نعيش مع هذا الجهد الضخم ، أن نقف وقفة تأمل وإعجاب بهذا الانتاج الجيد الذي يخدم الإعلام الإسلامي في منابعه الأولى ، ويتيح للقارىء أن يطلع على صفحات مشرقة من الحضارة الإسلامية التى أرسى قواعدها محمد ﷺ وربى بها الجيل الأول من رجالات الإسلام في كافة الميادين .

المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات

محمد فتحي عبد الهادي

المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات/ اعداد مجموعة من المكتبيين ؛ تحرير أنور عكروش ، صدقي دحبور . ــ عمان : جمعية المكتبات الأردنية ، ١٩٨٢م ، ٣٠٠ ص .

لا جدال في أن الكتب « التقديمية » لأي علم من العلوم هي من أهم كتب هذا العلم ، وإن تكن من أصعبها من حيث الإعداد ، ذلك لأنها تهدف إلى الإلمام بكل أو معظم موضوعات هذا العلم في صورة منظمة وحديثة ومركزة من ناحية وتقديم تصور منهجي لطرق البحث فيه وأسسه أو دعائمه من ناحية ثانية .

وعلم المكتبات من العلوم الحديثة ، وإن كانت المكتبات نفسها ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ . وإذا كانت الكتب التقديمية لهذا العلم قليلة بصفة عامة في العالم الغربي ، فإنها معدودة على الأصابع في عالمنا العربي . ولا يكاد يجد الباحث سوى خمسة كتب غير الكتاب الذي بين أيدينا .. وقد صدرت تلك الكتب الخمسة في السبعينات من القرن العشرين الميلادي ، أولها كتاب عبد الله أنيس الطباع بعنوان : « علم المكتبات ، الإدارة والتنظيم » الذي نشر في بيروت عام ١٩٧٢ ، وثاني هذه الكتب ، كتاب محمد ماهر حمادة « مدخل إلى علم المكتبات » الذي نشر في جدة عام ١٩٧٦ ، وثالثها كتاب حسن رشاد « المكتبات ورسالتها » الذي نشر في القاهرة عام ١٩٧٧ .

أما الكتابان الرابع والخامس فقد نشرا عام ١٩٧٩ ، أحدهما بعنوان « مقدمة في علم المكتبات والمعلومات » لأحمد بدر ، وقد صدر هذا الكتاب بالكويت ، والثاني بعنوان « الكتب والمكتبات : المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات » لعامر إبراهيم القنديلجي وآخرين ، وقد صدر الكتاب ببغداد . والكتاب الذي بين أيدينا هو الكتاب السادس وقد نشر بعمان عام ١٩٨٢ .

والظاهرة الأولى الملفتة للنظر بالنسبة لكل هذه الكتب ، ما عدا كتاب حسن رشاد ، الإشارة إلى كلمة علم في العنوان ، وكأن علم المكتبات قد استوت دعائمه واستقرت أركانه وصار بنياناً متيناً .

والظاهرة الثانية هي إضافة « المعلومات » إلى المكتبات ، أي ذكر علم المكتبات والمعلومات في عناوين ثلاثة من الكتب الستة ، إشارة إلى بزوغ تطور جديد في المجال .

أما الظاهرة الثالثة فهي تتعلق بالتأليف الفردي ، فإن أربعة من الكتب الستة من إعداد أفراد ، بينما اشترك في إعداد الكتابين الآخرين مجموعة من الأفراد .. ومسألة التأليف الجماعي تستحق التشجيع في عالمنا العربي ، وما أحوجنا إلى الجهود الجماعية في مجال المكتبات والمعلومات .

نعود إلى الكتاب موضوع هذا العرض والتحليل ..

إشترك في إعداد هذا الكتاب سبعة من أبرز المكتبيين الأردنيين هم : أنور عكروش ، صدقي دحبور ، محمود أتيم ، ربحي عليان ، يوسف قنديل ، أمين النجداوي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطرس حشوة . وقد كتب كل من الأول والثاني فصلين ، وكتب الثالث ثلاثة فصول ، بينما ساهم كل من الباقين بفصل واحد ، كما قام الأول والثاني بأعمال التحرير للكتاب . وظاهرة التأليف الجماعي ظاهرة طيبة وتستحق التشجيع كما قلنا .

والكتاب من نشر جمعية المكتبات الأردنية ، وهي من أنشط جمعيات المكتبات في عالمنا العربي ، ولها إسهام ملحوظ في جوانب كثيرة منها إصدار (رسالة المكتبة) أقدم الدوريات المكتبية العربية الجارية ، وإقامة العديد من الدورات التدريبية في حقل المكتبات ، وتولي مسئولية إعداد الببليوجرافية الوطنية .

ويشير المحرران في مقدمة الكتاب إلى أن الكتاب قد أُعد للمساهمة في « تخفيض النقص الذي تعاني منه المكتبة العربية في مجال الأدب المكتبي باللغة العربية » .. وأنه روعي أن يكون محتواه مفيداً ومناسباً وملبياً لحاجات مختلف الفئات في القطاعات التالية :

دورات علم المكتبات التي تعقدها جمعية المكتبات الأردنية ، الدارسين والمدرسين في القطاعين العام والخاص في مجال علم المكتبات ، العاملين في حقل المكتبات ممن لم تتح لهم فرص حضور دورات في مجال المكتبات ، الإداريين وصانعي القرارات في المجال ، الراغبين في التعرف على علم المكتبات أو الإستزادة في هذا المجال .

وتبرز فائدة الكتاب بالنسبة لهذه الفئة الأخيرة ، من كون موضوعه ذو مساس مباشر بالجانب الفكري للإنسان .

وهكذا يتضح أن الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو هدف « تعليمي » أى استخدامه ككتاب دراسي للملتحقين بالدورات التدريبية التي تعقدها الجمعية ، وأنه من الممكن أن يستفيد منه أيضاً من يقوم بتدريس هذا العلم أو من يدرسه بصفة عامة . أما الأهداف الأخرى لهذا الكتاب فهي تتضمن إما « التعريف » للعاملين المبتدئين بالمكتبات ، أو « التوعية » للمستفيدين منها .

واعتقد أن الكتاب مؤهل للنجاح في تحقيق أهدافه ولا سيما هدفه الأساسي ، فهو يشتمل على حشد هائل من المعلومات في الموضوعات المختلفة لعلم المكتبات ، ومثل هذا الحشد يفيد الشخص الذي يحضر دورة تدريبية في المكتبات لمدة ثلاثة أشهر أو أكثر ، لكنه قد لا يفيد كثيراً دارس المكتبات على مستوى مرحلة البكالوريوس أو المستوى الأعلى ، لأن مثل هذا الدارس يتعرض لموضوعات هذا الكتاب بالتفصيل في مقررات دراسية كثيرة ، وما يحتاجه هذا الدارس ــ بالنسبة للمدخل ــ هو الإحاطة بعلم المكتبات من زاوية أخرى ، تتمثل في دعائم العلم ومنهج البحث فيه وموضوعاته الأساسية وفلسفته وعلاقته بالعلوم الأخرى ومصادر المعلومات الأساسية فيه ، بالإضافة إلى عنصرين آخرين هما ما يتعلق بالتجمع المهني والتأهيل الفني .

لكن .. ماذا عن المحتويات التفصيلية للكتاب ! .

يشتمل الكتاب على أحد عشر فصلاً ، والفصل الأول عن الحركة المكتبية في الأردن ، وقد أشار فيه مؤلفه إلى اهتمام الدولة بالمكتبات وإنشاء مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ، كما تحدث عن جمعية المكتبات وأهدافها وانجازاتها ، والأدب المكتبي والنشاط الببليوجرافي بالأردن . ثم تناول نشأة وتطور الأنواع المختلفة من المكتبات . وكان الكاتب صريحاً في عرض المشكلات الأساسية ، ومنها عدم وجود المكتبة الوطنية ، أو التشريع المكتبي ، وعدم وجود المعايير المكتبية ، وعدم وجود شبكة للمكتبات على نطاق الدولة ، والنقص في المتخصصين في مجال المكتبات .

أما الفصل الثاني ـ وهو من الفصول الكبيرة في الكتاب ـ فقد خُصص للمكتبات وأنواعها . ويبدأ بتعريف المكتبة وتطور المكتبات عبر العصور ، ثم يتناول وظائف المكتبة ، وأقسام المكتبة ونشاطاتها ، ثم يستعرض بالتفصيل الأنواع المختلفة للمكتبات من حيث التعريف والأهداف والأنشطة الرئيسية ، ويختتم الفصل بعرض لمسألة التعاون بين المكتبات ، وعرض لأبرز الجمعيات والاتحادات المكتبية على المستوى العالمي .

وتتناول الفصول من الثالث إلى السادس مقتنيات المكتبة والعمليات الفنية التي ترتبط بها من تزويد وتصنيف وفهرسة . وتشغل هذه الفصول الأربعة ما يقرب من نصف الكتاب ، وينقسم الفصل الثالث الذي يتناول مقتنيات المكتبة إلى قسمين : القسم الأول خصص للدوريات من حيث التعريف والأنواع والاختيار والتزويد والضبط الببليوجرافي . والقسم الثاني خصص للمواد غير المطبوعة (هذا القسم مترجم) . ويقصد بها هنا المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية ، ويتم تناولها من حيث أشكالها وببليوجرافياتها وتنظيمها وإدراتها وفهرستها وتصنيفها .

وقد أغفل هذا الفصل المطبوعات الورقية الأخرى غير الدوريات مثل الكتب وأعمال المؤتمرات والتقارير والرسائل الجامعية والمعايير والمواصفات ... رغم أهميتها كمصادر للمعلومات . كما أن القسم الخاص بالمواد غير الكتب لم يهتم بمسائل الاختيار والتزويد .

ويتناول الفصل الرابع موضوع التزويد من حيث غاياته ومبادئه ، والاختيار وأساليبه في المكتبات المختلفة ومصادره وأدواته ، كما يتناول الفصل بإيجاز شديد المصادر الأخرى للتزويد غير الشراء ممثلة في التبادل والإهداء والإيداع القانوني ، ويختتم الفصل بعرض لوظائف قسم التزويد .

أما الفصل الخامس فيختص بالتصنيف ، ويبدأ بتعريف للتصنيف وتاريخه وأهدافه وخطة التصنيف وخصائصها ، ثم يفصّل الحديث عن أشهر نظم التصنيف وخاصة تصنيف ديوي العشري . ويتعلق الفصل السادس بالفهرسة ، وهو يبدأ ـ مثل الفصل السابق ـ بتعريف للفهرسة والفهارس والتطور التاريخي لقواعد الفهرسة وأنواع الفهارس وأشكالها . ثم يتحدث الكاتب عن الفهرسة الوصفية والفهرسة الموضوعية والفهرسة التحليلية والتكشيف وترتيب مداخل الفهرس . ويختتم الفصل بإشارة إلى التكنولوجيا الحديثة واستخدامها في الفهرسة .

وتتناول الفصول الأربعة التالية ـ من السابع إلى العاشر ـ موضوعات ذات علاقة بالخدمات المباشرة للمستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات . فالفصل السابع يدور حول الببليوجرافيا وتعريفها وأنواعها ومجالاتها وكيفية إعداد الببليوجرافيات ، ويتناول ببعض التفصيل كلاً من الببليوجرافيا الوطنية والببليوجرافيات المتخصصة . أما الفصل الثامن فيتعلق بالتوثيق ، ويركز هذا الفصل على الخدمات التوثيقية المتنوعة كخدمات الإحاطة الجارية والإجابة عن الاستفسارات والترجمة والتصوير والنسخ والنشر .

والمراجع هي موضوع الفصل التاسع . ويتناول هذا الفصل عرضاً لأشهر المراجع في موضوعات المعرفة البشرية المختلفة ، بعد ذكر المعلومات الأولية عن المراجع مثل التعريف والأنواع والصفات العامة وطريقة التقييم . والإعارة هي موضوع الفصل العاشر وفيه يستعرض الكاتب إجراءات الإعارة ونظم الإعارة والتطورات الحديثة فيها .

والفصل الأخير من الكتاب يختص بالمعايير المكتبية في الأنواع المختلفة من المكتبات والمباني والأثاث المكتبي .

ونشير فيما يلي إلى بعض الملاحظات :

١ ـ لا يوجد كشاف هجائي للكتاب على الرغم من الإشارة إلى مثل هذا الكشاف في قائمة محتويات الكتاب . ومنه قضية عامة نوجه النظر إليها سواء بالنسبة لهذا الكتاب أو غيره من الكتب العربية ، التي تصدر في الغالب خالية من أى كشاف تحليلي هجائي يشتمل على أهم المصطلحات والموضوعات والمفاهيم والأعلام مع الإشارة إلى رقم أو أرقام الصفحات التي ترد بها .

٢ ـ قضية أخرى تحتاج إلى المناقشة ، وهي قضية المصطلحات العربية في مجال المكتبات ، فعلى الرغم من الحرص على ذكر المقابلات الإنجليزية في حالات كثيرة بجوار المصطلحات العربية ، إلا أنها لم تذكر في حالات أخرى مماثلة ، هذا بالإضافة إلى عدم توفر قائمة بالمصطلحات في نهاية الكتاب رغم أهمية مثل هذه القائمة في الكتب التقديمية ، وهناك عدم دقة أو توحيد في ترجمة أو استخدام بعض المصطلحات .

وعلى سبيل المثال :

ـ يفضل استخدام مصطلح «الإنتاج الفكري» المكتبي بدلا من «الأدب» المكتبي (ص ٥) .

ـ يفضل استخدام مصطلح «الأوعية المصغرة» أو «المصغرات» بدلًا من «الأشكال المصغرة» كمقابل لـ Microforms (ص ٨٨) .

ـ ترجم مصطلح Indicative Abstracts إلى المستخلصات «المكثفة» (ص ٧٢) ثم إلى المستخلصات «الوصفية» (ص ٢٢٠) .

ـ يفضل استخدام مصطلح «كشاف» بدلا من مصطلح «فهرس» (ص ١٤٧) فيما يتعلق بكشافات أنظمة التصنيف .

ـ ترجم Colon Classification إلى التصنيف «التوضيحي» (ص ١٥٦) إشارة إلى استخدام الرمز : (علامة التوضيح) لفصل رموز الأوجه المركبة ، بينما يترجمه البعض الآخر : تصنيف «الشارحة» ، بل إن هناك من يطلق عليه تصنيف «الكولون» وهذا يشير إلى الحاجة الواضحة للتوحيد في المصطلحات العربية بصفة عامة .

ـ تغير اسم «مركز مكتبات الكليات بأوهايو» OCLC (ص ١٩٢) في أوائل ١٩٨١ إلى : «مركز مكتبات الحاسب الألكتروني على الخط المباشر» وان بقيت التسمية الاستهلالية OCLC كما هي .

٣ ـ على الرغم من أن معظم فصول الكتاب مزودة بقوائم بالمراجع ، الا أن هناك بعض الفصول (مثل الفصل السادس ، الفصل التاسع ، الفصل الحادى عشر) التي لا تلحق بها قوائم بالمراجع .

٤ ـ توجد بعض البيانات أو المعلومات التي لا تتسم بالدقة أو التوحيد ، منها أن (رسالة المكتبة) صدرت منذ عام ١٩٦٤ (ص ١٥) وصدرت منذ عام ١٩٦٥ (ص ١٩) رغم أن المجلة تصدر عن ناشر هذا الكتاب ، والصحيح أن المجلة بدأت في الصدور منذ عام ١٩٦٥ . ومنها أن نشرة الإيداع الشهرية (نشرة المطبوعات المصرية) هي الببليوجرافية الوطنية لمصر (ص ٢٠٨) . والصحيح أن نشرة الايداع غيرت منذ عدة سنوات طريقة الإصدار الشهرية إلى الاصدار الفصلي وبالتالي اقتصر العنوان على : نشرة الإيداع ، وقد أشير في صفحة ٢٤٦ إلى أن النشرة العربية للمطبوعات من نمط ببليوجرافيات الببليوجرافيات . والصحيح أن النشرة العربية للمطبوعات هي من نمط الببليوجرافيات الوطنية لأنها تشتمل على مداخل للمواد الصادرة في البلاد العربية ، أما ببليوجرافية الببليوجرافيات فهي تلك القائمة التي تشتمل على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مداخل للببليوجرافيات فقط .

٥ ــ بدأ الكتاب بفصل عن الحركة المكتبية في الأردن ، ولعله من الأفضل أن يأتي هذا الفصل بآخر الكتاب وليس أوله ، أى بعد أن يلم القارىء بأساسيات أو موضوعات علم المكتبات المختلفة .

٦ ــ على الرغم من أن عنوان الكتاب هو «المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات» ، إلا أن الكتاب يدور أساسا حول علم المكتبات وإن اشتمل على فصل عن التوثيق . ولا توجد أية إشارة إلى التطورات التي حدثت منذ الستينات وأدت إلى نشأة علم المعلومات . ذلك العلم الذي يتطور بسرعة كبيرة ويتصل بشكل أو بآخر بعلم المكتبات .

وعلى أي حال ، فإن الملاحظات العامة البسيطة التي أشرنا إليها سابقاً لا تقلل أبداً من الجهد الكبير الذي بذل في إعداد هذا الكتاب ككتاب تقديمي لعلم المكتبات ، وهو جدير بالقراءة بما يشتمل عليه من معلومات غزيرة متنوعة ، وبأسلوبه السهل الواضح ، وبعرضه الطيب المزود بالكثير من الأمثلة والنماذج العربية .

مقدمة إلى: نظم المكتبة المبنية على الحاسب الالكتروني

حشمت قاسم

تيد ، لوسي/ مقدمة إلى نظم المكتبة المبنية على الحاسب الالكتروني ، ترجمة محمود أحمد أتيم .ــ تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨١ ، ٢٥٨ ص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حظى استخدام الحاسبات الإلكترونية في أعمال المكتبات ونظم استرجاع المعلومات بالإهتمام في الإنتاج الفكري العربي ، تأليفاً وترجمة ، منذ أكثر من عشر سنوات ، إلا أن حصيلة هذه الفترة لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة من الكتب والدراسات المتأنية ، كما أن حصيلتها من أشكال الأوعية الأخرى لم تكن بحال بارزة إذا ما قورنت بحصيلة قطاعات الإهتمام الأخرى ، وربما كان مرد هذا الفقر في الإنتاج الفكري إلى سببين ، أولهما قلة عدد المهتمين بوعي بالمجال ، وثانيهما : تعثر المشروعات التطبيقية العربية المبكرة وعدم الإهتمام بتوثيق الخبرات السلبية باعتباره الخطوة الأولى نحو الحل المناسب لمشكلات التطبيق ، والإرتباط بين هذين السببين واضح لا لُبس فيه .

ويأتي ترتيب الكتاب موضوع هذا العرض ، الثالث في سلسلة الكتب الأساسية المترجمة إلى العربية في مجال ميكنة المكتبات ونظم استرجاع المعلومات ، فقد سبقه كتاب ألن كنت «ثورة المعلومات، استخدام الحاسبات الإلكترونية في إختزان المعلومات وإسترجاعها» **الذي صدرت الترجمة العربية لطبعته الثانية عام ١٩٧٣ ،** وكتاب ولفرد لانكستر «نظم استرجاع المعلومات» الذي صدرت الترجمة العربية لطبعته الثانية أيضاً عام ١٩٨١ ، ورغم هذا السبق الزمني فإن هذا الكتاب كمقدمة للمجال يأتي في التسلسل القرائي .

ولعل من أهم ما يميز هذا الكتاب كما سيتضح لنا ، الشمول والبساطة ، وهما أهم ملامح الكتاب التمهيدي ، وربما كانا أيضاً من الأسباب التي رشحت الكتاب للترجمة إلى العربية ، وتبني إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لهذه الترجمة ، ونرجو لهذه الترجمة واسع الإنتشار لتسهم في توعية المكتبيين والقائمين على خدمات المعلومات في العالم

العربية وتهيئتهم للتعامل الإيجابي الفعّال مع التطورات الجارية في مجال نشاطهم .

وفضلاً عن المقدمات يضم الكتاب أحد عشر فصلاً بالإضافة إلى عدد من الملاحق المفيدة ، وتغطي فصول الكتاب الجوانب الأساسية للمجال تغطية شاملة ومتوازنة إلى حد بعيد ، هذا ومن الممكن تقسيم فصول الكتاب إلى خمسة قطاعات موضوعية متجانسة ، ويحاول القطاع الأول الإجابة على السؤال الأساسي وهو لماذا الحاسب الإلكتروني في المكتبات ، ويتكفل الفصل الأول بهذه الإجابة ، حيث يستعرض أطراف المناظرة وحجج وآراء كل طرف ، وهذا الفصل مفيد بوجه خاص للمسئولين عن اتخاذ القرار المترددين في اتخاذ الخطوة الأولى ، وإن كان الأمر في نظري لم يعد يقبل التردد ، حيث أصبح استخدام الحاسب الإلكتروني في بعض المكتبات ضرورة لا محيد عنها .

أما القطاع الموضوعي الثاني فهو تقديم مبسط للحاسب الإلكتروني ويشمل الفصلين الثاني والثالث ، حيث يتناول الفصل الثاني المكونات الأساسية للحاسب وأنماط استخدامه وطرق تسجيل البيانات في شكل قابل للقراءة بواسطة الحاسب ، وأشكال المخرجات ، وقد لفت نظري إشارة غامضة (نهاية الفقرة الثانية ص ٣١) إلى مشروع الفهرس المئوي لدار الكتب المصرية ، حيث تحتاج العبارة إلى توضيح ، وفي الوقت الذي يهتم فيه الفصل الثاني بالأجهزة والمعدات Hardware يهتم الفصل الثالث بالشق الآخر وهو أساليب معالجة البيانات وبرامج وتعليمات التشغيل Software ، حيث يتناول بناء الملفات وعناصرها وكتابة البرامج ولغات البرمجة والتعامل مع الحاسب بكل مستوياتها .

وبعد أن يتقنع المكتبي بمبررات استخدام الحاسب ويطمئن إلى أن التعامل مع هذا الجهاز لا يكتنفه سحر ولا يتطلب قوى خارقة ، يبدأ في تهيئة المناخ اللازم لتحقيق أقصى درجات الإفادة من إمكانات الحاسب حيث تُجرى الدراسات التمهيدية وتتخذ التدابير التنظيمية اللازمة للمزاوجة ما بين إمكانات الحاسب ومتطلبات الموقف . ويتكفل الفصلان الرابع والخامس موضوع القطاع الثالث بمعالجة هذه القضايا ، حيث يتناول الفصل الرابع ما يسمى بدراسة الجدوى وأساليب تحليل النظم ومراحل التنفيذ وإجراءات الإختبار والتقويم والتطوير ، وطرق تدريب العاملين والمستفيدين ، واتخاذ التدابير اللازمة للتشغيل .. أما الفصل الخامس فيتناول أحد نماذج التطبيقات المبكرة في المجال وهو نظام مارك MARC من حيث تطوره التاريخي وإمكانات ومجالات الإفادة منه بالمكتبات وبنيان ملفاته ، ولا يمكن تناول مارك دون الحديث بالطبع عن الفهرسة المركزية والتعاون وإقتسام الموارد بين المكتبات .

وتنقسم استخدامات الحاسب الالكتروني بالمكتبات الى فئتين ، وتشمل الفئة الأولى الأنشطة الروتينية والتحضيرية ، بينما تشمل الفئة الثانية أنشطة استرجاع المعلومات ، وتحظى أنشطة الفئة الأولى بالاهتمام في الفصل السادس والسابع والثامن موضوع القطاع الرئيسي الرابع ، حيث يتناول الفصل السادس استخدام الحاسب الإلكتروني في كل من التزويد والفهرسة ويبدأ بمعالجة التزويد من حيث المدخلات اللازمة وبناء الملفات وطرق التجهيز وأشكال المخرجات ، كما يعالج هذه النقاط الأربع أيضاً بالنسبة للفهرسة ، كذلك يشير هذا الفصل لعلاقة البيانات الخاصة بالتزويد بالبيانات الخاصة بالفهرسة وإمكان تحقيق التكامل بين نظامى الفهرسة والتزويد ، وترد المناقشة في هذا الفصل مدعمة بعدد كبير من الأمثلة والخبرات التطبيقية المكتسبة في عدد كبير من المكتبات البريطانية المتنوعة .

ويتناول الفصل السابع استخدام الحاسب الإلكتروني في نظام الإعارة ، والمبني أساساً على المزاوجة ما بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيانات المستعير وبيانات الكتاب المعار ، ويناقش هذا الفصل عناصر بيانات المستعيرين وطريقة تسجيلها ، وكذلك عناصر بيانات الكتب وطرق التعبير عنها ، ثم عمليات التجهيز اللازمة لضبط عملية تداول الكتب وأشكال المخرجات الناتجة عن عمليات التجهيز هذه ، وتأتي معالجة موضوعات هذا الفصل مصحوبة بعدد من النماذج والأشكال الإيضاحية .

والمسلسلات من المواد التي تحتاج إلى معالجة خاصة بالمكتبات سواء في فهرستها أو في تسجيلها أو ضبط الإشتراكات ومتابعة وصول الأعداد والتجليد ... إلخ . ويتناول الفصل الثامن إستخدام الحاسب في هذه العمليات حيث تأتي معالجته لها مشفوعة ببعض الأمثلة من التطبيقات الناجحة في بعض المكتبات وخاصة الأكاديمية منها في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، فضلًا عن بعض المشروعات والنظم الدولية .

ويشكل استخدام الحاسب الإلكتروني في استرجاع المعلومات موضوع القطاع الخامس والأخير في هذا الكتاب ، ويُحظى بالمعالجة في الفصل التاسع والعاشر والحادي عشر ، ويتناول الفصل التاسع استخدام الحاسب الإلكتروني في إعداد الكشافات التي يتم استعمالها والبحث فيها يدوياً أو بواسطة البشر ، وهناك كما نعلم ثلاثة أنواع رئيسية من هذه الكشافات ، وهي كشافات الكلمات وتشمل كشاف الكلمات المفتاحية في السياق بكل تنويعاته وكشافات نهاية الكتب ، وكشافات النصوص ، وهذه تعتمد جميعها على الكلمات الواردة في نصوص الوثائق ، أما النوع الثاني فهو كشافات الموضوعات أو المفاهيم وهذه لا تهتم بالكلمات قدر اهتمامها بإبراز الموضوعات أو المفاهيم الأساسية التي ينبغي إبرازها في التعريف بالمستوي الموضوعي للوثيقة ، أما النوع الثالث فهو كشافات الإستشهاد المرجعي ، والنوع الأول أوفر حظاً من غيره بوجه عام في هذا الكتاب ، أما النوع الثاني فبحكم طبيعته لم يتسع الكتاب إلا امعالجته معالجة هيكلية لا أكثر ، بينما مر الكتاب على النوع الثالث مرور الكرام ، ولعل من أبرز ملامح هذا الفصل جدول برامج الحاسب المستخدمة في إنتاج بعض أشكال الكشافات .

ويتناول الفصل العاشر خدمة البث الإنتقائي للمعلومات وهي إحدى الخدمات الديناميكية التي أفادت كثيراً من استخدام الحاسبات الالكترونية في اختزان المعلومات واسترجاعها ، ويبدأ الفصل بعرض سريع لتطور هذه الخدمة ومفهومها ، ثم يستعرض بعذ ذلك مكونات نظام البث الإنتقائي للمعلومات ، وبناء ملفاته وأنماط تشغيله ، وطرق البحث وصياغة الاستراتيجيات ، وإعداد ملفات السمات الموضوعية للمستفيدين . كذلك يشير هذا الفصل إلى بعض مراصد البيانات التي يمكن الإفادة منها لأغراض البث الإنتقائي ، فضلًا عن بعض أمثلة البرامج المستخدمة في هذا المجال ، ومعايير تقويم الخدمة وتكاليفها . وينتهي الفصل بعرض لخبرات عدد من الهيئات الضالعة في إنتاج مراصد البيانات وتيسير سبل الإفادة منها .

ويتناول الفصل الحادي عشر والأخير ما أسمته المؤلفة بنظم البحث الراجع ، وتعالج فيه فضلاً عن المقدمة التاريخية المكونات الأساسية للنظام ، وهي وسائل الاتصال والتجهيزات وشكل المخرجات ، وأساليب البحث ، كما يتناول هذا الفصل النظم والمؤسسات الضالعة في المجال ، وتدريب المستفيدين ، وتقويم الخدمات ، وعناصر التكلفة ، والفصل مزود ببعض النماذج والأمثلة التوضيحية .

ويبدو من استعراض محتويات هذه الفصول الثلاثة الأخيرة أن المؤلفة لم تكن موفقة في السيطرة على موضوعات قطاع استخدام الحاسب في إسترجاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعلومات ، فقد جاءت معالجة هذا القطاع على هذا النحو مجافية لطبيعة الموضوع ، فمعظم النظم الآن تستخدم لأغراض إعداد الكشافات كما تستخدم لأغراض البحث الراجع في نفس الوقت الذي تستخدم فيه لأغراض البث الإنتقائي للمعلومات ، ومن ثم فقد اضطرت المؤلفة لقدر كبير من التكرار في هذه الفصول الثلاثة .

ويهمنا من ملاحق الكتاب الملحق الثاني الذي يشتمل على معجم مصطلحات الحاسب ، وهو جهد مشترك لكل من المؤلفة والمترجم إلا أنه لم يستنفد جميع المصطلحات الأساسية للكتاب ، ناهيك عن المصطلحات الأساسية للمجال ، وقد اختار المترجم بعض المقابلات العربية التي قد إختلفت معه فيها ، ومن أمثلة هذه المقابلات « ملصقة » في مقابل Label وربما كانت «وسيمة» أفضل ، و « متصل » في مقابل On Line وربما كانت «على الخط المباشر» «أفضل» و « قيد» في مقابل Record وربما كانت « تسجيلة » أفضل ، و « طرف » أو « ميصال » مقابل Terminal وربما كانت « منفذ » أفضل ، وعلى أى حال فهذه قضية يحسمها الاستخدام الجماعي لا الفردي ، ولكنه ينبغي أن تكون هناك دائماً إجتهادات فردية .

هذا وقد أورد المترجم قائمة المختصرات دون تعريب وربما كان عليه أن يجتهد في اختيار مقابلات عربية مترجمة أو معربة حسبما تقضي طبيعة المختصر في شكله الأصلي ، وبالاضافة إلى قوائم المراجع الواردة بنهايات الفصول فقد أحسن المترجم صنعاً بإعداد قائمة بالقراءات الإضافية مشتملة على الكتب والدوريات والأدلة المتصلة بموضوعات الكتاب والتي نشرت بعد صدور الطبعة الأصلية ، وقائمة المراكز والنظم والخدمات والشركات المتصلة باستخدام الحاسب الالكتروني في المكتبات ونظم استرجاع المعلومات من الملامح الإيجابية للكتاب . وكذلك الحال بالنسبة للكشاف الموضوعي الهجائي الوارد بنهاية الكتاب . حيث ترفع مثل هذه الملامح من قيمته كعمل أساسي في المجال .

ورغم كل ما هنالك من ملاحظات فإن هذا الكتاب يمثل جهداً مترابطاً يقدم صورة متكاملة للمجال ، حيث يُحظى بكل الترحيب والتقدير من جانب المكتبيين ، ففيه الإجابة على كثير مما يدور في أذهانهم من تساؤلات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

موجز تحليلي لمجموعة:

سلسلة «اعرف بلادك»

نشر دار المريخ بالرياض

محمد عبدالله الحماد

لماذا يتجه الناس بشكل مذهل في الوطن العربي وفي المملكة ـ لماذا يتجهون لزيارة البلدان الأوروبية أو غيرها للتعرف على معالمها الحضارية أو للاصطياف أو لقضاء فترات من الشتاء أو بما يصفون بالاستجمام في أحضان الطبيعة ؟ وينسون أن في المدن السعودية والمدن العربية الكثير من المعالم الهامة التي هي جديرة بالتعريف بها وزيارتها والوقوف عليها ؟ ولماذا لا تعالج مثل هذه الأمور في مرحلة مبكرة ونقدمها الى الشبيبة بعبارات مبسطة وبأسلوب شيق وبكتيبات سهلة ؟ .

ذلك هو الذي رغبت أن تجيب عليه الكتب الستة من مجموعة سلسلة أعرف بلادك والتي ألفها الأستاذ / سيد محمد ابراهيم واستعرض في كل كتاب واحدة من مدن المملكة من خلال أسلوب قصصي شيق وسهل ومبسط يتفق وما استهدفته المجموعة من أهداف يأتي في مقدمتها تعريف الناشئة بمدن بلادهم .. أين تقع وكيف نصل إليها وما هو المناخ الذي يسود هذه المدينة أو تلك وكيف تكون تضاريسها وما هي أهم معالمها الحضارية وما المشروعات التي أقامتها الحكومة والجهود الجبارة التي تبذلها في سبيل النهوض بالمدينة وخدمة سكانها في مختلف المجالات وخاصة في الصحة والتعليم والزراعة والتجارة والصناعة والإسكان من إنشاء مباني ورصف طرق واقامة جسور وشق أنفاق مما يشد القارىء ويجذبه ويضاعف من انتمائه ويزيد من اعتزازه ببلده ، وافتخاره بتراثها الخالد وقيمها الأصيلة وحاضرها المزدهر .

سلسلة كتب «أعرف بلادك» قامت دار المريخ للطباعة والنشر بالرياض باصدارها وقد أولت طباعتها عناية كبيرة فجاءت المجموعة على مستوى راق من الأناقة والذوق السليم .

وقد تناولت مجموعة الكتب الست للمدن التالية :

○ مكة المكرمة	○ أبها	○ القصيم
○ الرياض	○ حائل	○ الطائف

مكة المكرمة : الكتاب الأول في المجموعة للعاصمة المقدسة :

وقد المؤلف بحثاً موجزاً عن أصل التسمية للبلد الذي شرفه الله ببيته العتيق كما حدد موقع المدينة من مركز الكرة الأرضية وانتقل الى وصف مناخها وأشهر مساجدها ووصف الكعبة المشرفة وما قامت به حكومة المملكة من توسيعات للبيت الحرام مرات متتالية .. منها اقامة العديد من الجسور والأنفاق وشق الطرق الحديثة المؤدية للرحاب المقدسة في مكة المكرمة ومنى وعرفات والمزدلفة .

ويتطرق المؤلف للحديث عن بعض المعالم الحضارية الإسلامية البارزة في العاصمة المقدسة مثل مكان مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ويصف غار حراء وموقعه من مكة حيث نزل فيه الوحي على المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وكذلك يتحدث المؤلف عن دار أم هانيء التي كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيها الرسول ﷺ ليلة الاسراء ، وكذا دار الأرقم التي تذكرنا بقصة اسلام عمر .

الرياض : والكتاب الثاني في المجموعة عن العاصمة : الرياض .

ويتذكر الزائر للرياض اليوم ما قام به المغفور له الملك عبد العزيز طيَّب الله ثراه من عمل مجيد جمع به شمل الأمة وأحال شتاتها الى وحدة اجتمعت على كلمة الحق واستظلت براية لا إله إلا الله .

يسرد المؤلف جانبا من دور الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة منذ أن كان في الثانية والعشرين من عمره عندما بدأ عمله الجسور متسلحاً بالايمان مستنداً إلى صحبه من الرجال المخلصين مستهدفاً استعادة ملك آبائه وأجداده فكانت الرياض فاتحة الفتوحات التي امتدت إلى قرابة خمسين عاماً من عمر المؤسس الفاتح عبد العزيز .. أفنى خلالها رحمه الله شبابه وعمره في سبيل العودة بالدين إلى منابعه الصافية وتطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة التي شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية .

ويصف المؤلف في كتابه عن الرياض من بين الكتب الستة لهذه السلسلة موقع الرياض الجغرافي وطرق الوصول إليها براً وجواً كما يتحدث عن الرياض قديماً وحديثاً ويصف نهضتها الشاملة وتحولها إلى واحدة من أكبر عواصم الوطن العربي في فترة زمنية قياسية .

ويضيف المؤلف ما تشهده الرياض من المشروعات الضخمة وانجاز لتلك المشروعات في فترات وجيزة مثل الجسور والطرق والأنفاق والأحياء السكنية والمصانع والمنشآت ومحطات تنقية المياه والمرافق التعليمية والصحية والفنادق التي لا تقل فخامة عن أرقى الفنادق في العالم .. وذلك فيما لم تشهده أي مدينة أخرى من حيث المعدلات الزمنية للانجازات .

أبهـــا : والكتاب الثالث في المجموعة عن أبها ..

ويبرز المؤلف في كتابه عن أبها ذلك التميز في الطبيعة والمناخ اللذان تنفرد بهما المنطقة الجنوبية الغربية والتي تعتبر مدينة أبها حاضرة لها بل هي بالفعل العاصمة الادارية لاقليم عسير ، وينتقل المؤلف من بيان الموقع الى وصف المصايف الرائعة كالمحالة والقرعاء والسودة وغيرها معدداً ما تبذله حكومة المملكة في تهيئة هذه المصايف لتستقبل المصطافين الذين ينشدون الراحة والطمأنينة وهم في بلادهم وبين أهليهم .

ثم يتحدث المؤلف عن الزراعة فوق تلك المصاطب الجبلية الخضراء التي ترسم فوق سفوح الجبال حول أبها أروع لوحات الطبيعة وأخلبها للب .

ويشير المؤلف إلى استخدام الميكنة في الزراعة وتوفير المياه من الأمطار أو من السدود التي تم انشاؤها وخاصة سد أبها الكبير ثم يتعرض إلى طراز المباني المميز وتراثها القديم ونهضتها الحضارية والمجمعات السكنية والمرافق التعليمية والصحية التي أقامتها حكومة المملكة مختتماً حديثه عن أبها بقصة بلقيس ملكة سبأ التي اتخذت من جبال حمومة القريبة مقراً لها للاستشفاء من مرض ألم بها وهي في طريقها إلى الحجاز .

حائل :

قفز المؤلف في كتابه الرابع من أقصى الجنوب مخلفاً وراءه أبها الجميلة الى أقصى الشمال وعقد مقارنة لطيفة وشيقة بين المصايف هناك في الجنوب وهنا في الشمال في حائل تلك المدينة التي تتميز بمناظرها الطبيعية وجبالها العالية ومزارعها الواسعة وآثارها الخالدة ونهضتها الثقافية وصناعاتها التقليدية .

وقد أضاف المؤلف قوله بأن حائل هي المدينة التي لجأ إليها امرؤ القيس ، وولد فيها جواد العرب حاتم الطائي وانتصر فيها عنترة بن شداد .

كما يتحدث في الكتاب عن حي برزان القديم ووادي توارن ، ويختم كتابه بقصة اسفانة ابنة حاتم الطائي التي سألت الرسول ﷺ أن يمن عليها فأجابها سؤلها وقال إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وأن الله حب مكارم الأخلاق .

القصيم : وبعد حائل ينتقل المؤلف في كتابه الخامس إلى المنطقة المجاورة لها (القصيم) .. أوضح المؤلف أصل تسمية القصيم بهذا الاسم وبأنها في وسط هضبة نجد وتشمل مساحة ضعف مساحة لبنان تقريبا .

والقصيم قديمة ولها حضارتها العريقة ويوم القصيم من أيام العرب المشهورة .. ويستطرد المؤلف في وصف المنطقة بأنها بالنسبة للمملكة أشبه بهولندا بالنسبة لدول أوروبا حتى أنه أطلق عليها «بقالة أوروبا» .

ذلك أن النهضة الزراعية الضخمة بالقصيم والتي جاءت كنتيجة لاستخدام أحدث الوسائل الزراعية بالاضافة الى توفر المياه وخصوبة التربة جعلها تكتفي اكتفاء ذاتياً بل أنها تصدر الفائض الى المدن المجاورة حتى بلغت صادراتها الزراعية بعض مدن الخليج العربي .. وقد قامت على الزراعة في القصيم صناعات زراعية وأخرى مستقلة .

ويشير المؤلف إلى أن القصيم كانت سباقة إلى تعليم أبنائها وقد تخرج من بيوتها علماء في الطب والهندسة والعلوم الانسانية .

كذلك أوضح المؤلف النهضة الشاملة في البلاد من حيث المرافق والخدمات والفنادق والمستشفيات والنوادي وبيوت الشباب .

الطائف : وهذا هو الكتاب السادس والأخير في المجموعة ..

وتعتبر الطائف المصيف الرسمي للمملكة لموقعها على جبال شاهقة ويصل ارتفاعها الى ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر وقربها من مكة المكرمة .. وجدة ..

وتنتشر بالطائف الأودية ، ويعتبر سد عكرمة من أشهر وأقدم سدود المملكة وبجانب شهرتها كمصيف رئيسي فإنها من أولى المناطق الزراعية القديمة بسبب وفرة المياه بها سواء ما يأتي عن طريق الأمطار أو السدود وكذلك لخصوبة التربة وخبرة أهلها في أساليب الزراعة من قديم الزمان .

ونظراً لقربها من مكة المكرمة فقد أسهمت في اغراق أسواقها بجميع أنواع الخضر والفاكهة وخاصة في موسم الحج . وإلى جانب ذلك كله فبالطائف أيضاً مصح عالمي كما أنشىء بها العديد من المستشفيات المتخصصة .

ويختم المؤلف كتابه عن الطائف بالحديث عن أشهر أعلامها من الرجال والنساء ويضيف بأن الطائف مدينة عريقة في مضمار التعليم وقد أنشئت بها أول مدرسة ابتدائية بالمملكة سنة ١٣٤٥ هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاتمـة :

وبعد فقد ساق المؤلف هذه المعلومات الغزيرة في ثنايا أسلوب أدبي جاء متناسباً مع مستوى الناشئة الذين استهدفتهم هذه المجموعة من سلسلة أعرف بلادك .. لقد مزج المؤلف ما بين القصة والرواية واهتم بالتاريخ ووصله بالحاضر وحرص على استخدام الكلمات البسيطة وابتعد عن الكلمات المقعرة أو المتخصصة والجمل والتراكيب المعقدة .

لا شك أن سلسلة هذه الكتيبات بما حوته من صور ورسوم معبرة تسهم في التعريف بالمدن السعودية وتعطى أنموذجاً لما يمكن اصداره من كتب للتعريف بمدننا العربية بصفة عامة .